

بعض الحكمة من بناء ومن يؤمن الحكمة عند
توفي خبيرها كتبها وما يذكره إلا أورو الألبان

المجلة

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستعمل القول فيلشون أحسن
أولئك الذين صدقوا الله وأولئك هم أورو الألبان

— قال علي الصلاة والسلام : إن الإسلام سوى و «منارا» كثر الطريق —

٣٠ رجب ١٣٣٨ — ٢٩ (الحل) (١) ١٣٩٨ هـ ١٩٤٥ ش ١ إبريل ١٩٢٠

عاقبة حرب المدنية الأوروبية

كتبنا في أثناء هذه الحرب مقالات بيننا فيها أسبابها وآثارها وحكمة الخلق
فيها ونظامها وتطورها والمقابلة بينها وبين الحروب الإسلامية التي امتازت بالرحمة
وبجمل الحرب ضرورة تقدر بقدرها وتحرير القسوة والفظائع فيها ، والمقابلة
والمقارنة بين الدول المتحاربة في الاستعداد والمزايا وصرحنا فيها بأن عاقبتها
ستكون أفراد إحدى الدولتين الرئيسيتين في الحلفين الكبيرين الجرمانى والانكازى
— وهما ألمانية وانكلترة — بالسيادة والعظمة في العالم وفقا لقول الفيلسوف
هربرت سبنسر الشهير للأستاذ الامام: إن ضعف الفضيلة وتغلب الأفكار المادية
في أوربة سيدفعان دولها إلى حرب عامة طامة ليعلم أيها الأقوى ليسود العالم
وما بيننا في بعض تلك المقالات أن ألمانية أنتفتت الاستعداد للحرب إتقاناً
يمكنها من محاربة أوربة كلها وأنها فاقت جميع الدول في السلاح والنظام ، وأن
أعداءها يفوقونها بالكثرة التي تعد من أعظم أسباب الغلبة كما قال الشاعر العربي
ولست بالأكثر منهم -صاً وإنما العزة لكائن
(النار : ج ٧) (١٣) (المجلة الحادى والعشرون)

وقد كان من أمر هذه المكاترة أن انكفرت أليت على ألمانية أكثر دول الأرض في الشرق والغرب من العالمين القديم والجديد ، وإنما كان ذلك بدلو كعبها على الألمان وغيرهم في الدهاء السياسي الذي هو أدق علوم البشر وأصعب أعمالهم مركبا وأوعرها مسلكا وقد قلت مرة لصاحب لي من الألمان المستشرقين كان يحاورني وأحاوره في المقارنة بين قومه وبين الانكليز وما بينهما من المناظرات : إنني مقتنع بأنكم قستم الانكليز في جميع العلوم والفنون والأعمال حتى التجارة إلا ما هو أهم من ذلك كله وأعظم - وهو السياسة - فأنني أرى أن الانكليز يفوقونكم فيها - فقال صدقت وقد ذكرتني هذه الكلمة التي قلتها منذ بضع سنين بكلمة في منهاها قلتها منذ بضع عشرة سنة في مجلس بدار أحد أصدقائنا بمصر مات من حاضريه لطيف باشا سليم وحسن باشا عاصم وجرجي بك زيدان وبقي صاحب الدار وأحد الباشوات قال صاحب الدار في ذلك المجلس : إنه بلغه أن ألمانية هفتت مع روسية بحلفة سرية على انكفرت وسيترتب على هذه المحالفة إخراج الانكليز من مصر ومن الهند أيضا فقلت له لا نفتري هذا الخبر فإن انكفرتا كانت ولا يزال تضرب بعض الأمم ببعض وتكون هي الراجحة فهي كما قال مسلم بن الوليد * كالسيل يهتف جلودا بجلود * . إنني لم أصدق هذا الخبر في ذلك الوقت ثم تبين في أثناء هذه الحرب مما اكتشف من أسرار القيصرية الروسية أن له أصلا وأن مشروع المحالفة وضع ثم عرض ما حال دون إتمامها فإن كان هذا وقع بعد ذلك الزمن الذي أخبرنا فيه ذلك الخبر به فن الجائر أن تكون مقدماته ووسائله قد سبقته بسنين والذي تقصده من العبرة في هذه السياسة هو أن الانكليز غلبوا ألمانية على روسية فخالفوها على الترك والفرس ثم جعلوها بانفاقهم مع حليفها فرنسة فدية لما في هذه الحرب ، فكانت نصيب نعمة ألمانية الحربية في ريمان قوتها ، وعنفوان شرتها ، وكذلك تعبت الأمم العليمة الحكيمة بالأمم الجاهلة الخرفاء فتجعلها فدية لها كما فعل الحلفاء بأمم أخرى وكما فعل الألمان بالترك وقد كان أعجب مظاهر قدرة انكفرت السياسية تسخير دولة الولايات المتحدة الأمريكية لانقاذها وإفاد حلفائها من جميع الألمان المسكرى ، بعد أن عجزت أوربة كلها ومن ظاهرها من أمة آسية وأفريقية وأمريكا الجنوبية عن فل حدها

وإيقاف طغيان مدمم ، وهي الدولة التي جعلت من قواعد سياستها ترك مشاكل العالم القديم لأهلهم. وعدم مشاركتهم في شيء منه ، رقبها انكثرة رقيتين استخرجت بهما حيثها من جحرها ، ووزحزحتها من قاعدة سياستها ، إحداهما دعوتها إلى إنقاذ حرية الأمم والشعوب من السيطرة الألمانية التي تهدد العالم بالاستعباد ، والثانية دهاء اليهود ونفوذهم المالي في تلك البلاد ، وقد وعدتهم انكثرة بأن يكون جزاؤهم إعادة ملك إسرائيل إلى مملكة سليمان في الأرض المقدسة بالرغم من أنوف العرب أصحاب البلاد. ومن الملتين الاسلامية والنصرانية وسكت لها على هذا الوعد أشد ذوى التحمس الذي من البروتستنت والسكاثوليك حتى الجزويت منهم ، وأما المسلمون فلم يصددهم ذلك عن مساعدتها على فتح البلاد المقدسة بالجيش التي جهزوها باسم شريف مكة سليل الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحب الحجاز بقيادة بعض أبنائه ، فهل كان باستطاعة أحد من دول الأرض أن يفعل مثل هذا أو يفكر في إمكانية الأول ؟ لكن الانكيز قد لما لم يكن يخاطر في مال بشر فاستردوا هذه البلاد وما حولها من المسلمين الذين غلبوا قلب الأسد ملك الانكيز وسائر ملوك أروية في الحرب الصليبية بمساعدة الجيوش الاسلامية طوع المستر لوييدج ورج وزير انكثرة الأكبر هذه الدولة بالرقنين القتين ذكرنا فجعلت ثروتها الكبيرة ومواردها الغزيرة وجنودها الكثيرة وقفا على انقاذ الخلفاء من المانية بل هاجمت المانية بقوة أكبر وأعظم من كل هذه القوى - قوة الدعوة إلى الصلح المبني على اتفاق الأمم والشعوب على العدل العام والحرية الشاملة لجميع الانام ، وإبطال ما جرت عليه الدول القوية في المصور الخالية من التحالفات السرية على هضم حقوق الأمم المستضعفة وغير ذلك من أصول الحق والعدل التي مازال الأقوياء يهدمونها بمعاول القوة ، ومنها وجوب حرية البحار ، وجعل الانكيز وغيرهم فيها سواء . قام الدكتور واسن رئيس جمهورية الولايات بحارب المانية بهذه القوة الادبية الممزوجة لتلك القوى الحربية والمالية ، فقام بذلك انخطب الطنانة الزنانة ، ووضع للصالح تلك القواعد الجذبة اغلابا ، ففعلت في ذمر الاشتراكيين والعمال الالمانيين قمل السحر ، ولا سيما قاعدة حرية البحار في زمن الحرب والسلم ، فخرجوا على حكومتهم السياسية ، وثاروا في وجه قوتهم العسكرية .

وهي في أوج انتصارها ، وذروة فخرها . أمرت أسطولها بأن يهاجم الأسطول البريطاني فاعتصب بحارته وأبو الامتثال ، وهدد زعماء الاشتراكيين قواد الحرب باعتصاب جميع المال ، أو يطلبوا عقد الصلح على قواعد الرئيس «ولسن» المادة إذ هي أفضل من نصر عسكري يؤرث الاحقاد وبورث السياسة الجائرة ، وإنما أسست جبهاتهم ونحزبت أجزائهم لمقاومتها ، وقد سمحت لهم الفرصة فقالوا لانضمامهم ، ولم يقيمهم القول بأن هذا خداع ، لأن الأمريكيين غير متهمين بالكيد ولا بالاطماع ، فاستسلمتهم الحكومة رينما تسحب جيوشها وكراعها وفخاثرها من قلب فرنسا فأمهلوها ، وكان ما كان من أمر طلب الهدنة واشترائط الخلفاء فيها إضمااف جميع قوى الألمان الحربية في البر والبحر والجو حتى لا يستطيعوا العودة . فمن المنتصر ؟ أميركة في الظاهر وانكلترة في الباطن ، بل المنتصر إنما هم رجال السياسة الانكلتزية وحدهم ، فهم الذين أقنعوا الولايات المتحدة بوجود مؤامرة القضية المشتركة فسقطت على يدها المانية وساعدهم على ذلك صلف الألمان وغرورهم واحتقارهم الولايات المتحدة . وهم الذين والوا شريف مكة فكان عاملا قويا لسقوط الترك ، وهم المنتصدرون لإدارة دفة سياسة العالم بعد التمهيد لهستا واقتحام ما يقوم أمام هذه الادارة من العقبات . ومن ذلك إقناع الولايات المتحدة باسم خدمة الانسانية وتأييد المدينة بالاشراف على تركية ، والنهوض بالجمهورية الأرمنية . ويتولون هم إدارة البلاد العربية من برقة إلى العراق فمان - ما خلا سورية الشمالية فان إدارتها جعلت لفرنسة تنفيذا لمعاهدة سايكس و بيكو من جهة وحتى لاثيوب فرنسة بصعقة المغبون ونرضى من الغنيسة بالاياب من جهة أخرى والبلاد الفارسية المتصلة ببلوجستان فآلمند فآلمنت

الانكلتيز يحتلون سورية الجنوبية (فلسطين) ويعملون فيها عمل الحاكم المطلق ويمهدون السبيل لمهاجرة الصبونيين إليها ليكونوا حكاما فيها تحت حمايتهم ويحتلون العراق ويعملون فيه عمل المالك بلامعارض وقد أسسوا للسواحل العربية الحجازية والنجية محافظة سموها (محافظة البحر الأحمر) وأرسلوا بعثة إلى الامام يحيى - ولكنها أسرت قبل الوصول إليه - وأرسلوا بعثة أخرى إلى السيد الإدريسي

للاتفاق معه وعقدوا اتفاقاً مع حكومة إيران نشر في الجرائد فشكا منه الصحافيون ورجال السياسة في فرنسا واحتجوا بأنه يخاف لهدد «عصبة الأمم» إذا كانت المسألة السورية معلقة بأنواط تلك الوسائل المشار إليها ، كما تحدث أولئك الرجال وذلك الجرائد بالمسألة المصرية وبما للمصريين من الحق في المطالبة باستقلالهم وحريتهم ولم تغتر تلك الشقشة حتى تم الاتفاق على العودة إلى تنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦ وقد ظهر رجحان السياسة الانكليزية على السياسة الفرنسية في البلاد التي كانت تظن فرصة أن سياستها فيها أرجح لما فيها من الصناعات والوسائل . فقد كان طلاب المساعدة الأمريكية فالانجليزية من أهالي البلاد أضعاف طلاب المساعدة الفرنسية فلم يبق لفرنسة بد من اللجأ إلى إرضاء انكلترة والرضا منها بتنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦ بمقابلة تصرفها المطلق في مصر وسائر بلاد العرب والهجم

جرى كل ما ذكر على طريقة السياسة الأوربية المعروفة المألوفة من تصرف الأقوياء في الضعفاء والعلماء في الجهلاء بعد أن ذهبت جمجمة خطب الرئيس «ولسون» في الهواء وهو ما كنا نتوقعه من وراء هذا النصر وتحدث به من كلفاء في حواقب الحرب وخاصة إخواننا العرب المفرورين من السوريين والعراقيين ولا عراة في غرور أطفال اغرار في مهد السياسة والحركة العربية للحجاز يتفي يده ظهورها تكبرها في أعينهم بعض الجرائد فان قال قائل : إن كتاب الله قد أثبت أن العاقبة للمتقين وقد فسر علماءنا

التقوى بأنها عبارة عن أداء المأمورات وترك المنهيات ، فهل كان الانكليز — بهذا المعنى — هم المتقين ، حتى كانت كاذبة هذه الحرب لهم بتفوق الكلمة وعلو المنزلة والتصرف في أرض الله الواسعة ؟ نقول . إن قول الله تعالى لا ريب فيه ، وأن كلام العلماء في تفسير التقوى صحيح ولكنه مجمل فمن فهم منه أن المراد بفعل المأمورات الوضوء والصلاة والصيام ولو على غير الوجه الذي شرعه الله تعالى وأن ترك المنهيات خاص بترك الخمر والزنا والسرقة وما أشبه ذلك — فهو قصير النظر ضعیف الفهم ، التقوى أعم من ذلك وهي تختلف باختلاف ما تطلب فيه كما بيناه في مواضع من تفسير المنار ونبينا أهل مصر إلى تفسير المفسرين وغيرهم من علمائنا في بيان ما في الكتاب والسنة من الأصول الاجتماعية وسائل السياسة والعمران

فالتقوى المكررة في قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعلماوا الصلحيات جناح فيها طعموا إذا ما اتقوا) الآية غير التقوى في معايشة النساء المكررة في سورة الطلاق ، وغير التقوى في قوله تعالى (وحرم عليكم صيد البر مادمت حرمات واتقوا الله الذي إليه تحشرون) فلكل مقام خصوصية هي المقصود الأول من المعنى العالم والتقوى في قوله تعالى (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين غير ما ذكرناه ، فالأولى والثانية في أحكام الطعام والصيد وهما من الأحكام الشخصية الفردية ، والثالثة في أحكام الزيجية وهي منزلية (أو عائلية) والرابعة في شؤون الأمم والعمران وهي ما يعبّر عنه في عرف هذا العصر بالاجتماعية وكلامنا فيها . والثابت عندنا أن الانكليز أشدّ الأقوام عناية بأتقاء الطبيعة والفشل في هذه الأمور ، والألمان كذلك إلا أن الألمان اتقوا الانكليز بالتقوى الحربية فلم يدعوا شيئا من أسباب اتقاء الانكسار فيها إلا ، وأحكموه ، ولذلك كانت العاقبة لهم في المعارك الحربية ولكنهم لم يتقنوا كالاتكليز اتقاء التنازع الداخلي فوقعت الثورة الاشتراكية في أيّدهم ، وصدق عليهم قوله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ولم يتقنوا كالاتكليز اتقاء منخط الأمم والشعوب عليهم فأسخطوا الأمة الأمريكية على حين صارت أعظم الأمم ثروة واشتدت حاجة جميع الأمم إليها ، فكان ذلك عوناً للانكليز على تسخيرها لهم ، ولم يتقوا خروج العرب على الترك باستمالة العرب وتوثيق الرابطة بينهم وبين الترك وتحذيرهم من خطر انتصار الانكليز عليهم بل ساءحوا لأوليائهم سفهاء الاحلام من زعماء (جمعية الأحرار) — الدم والذهب — بارهاق العرب والتنكيل بهم تقتيلاً وتصلباً وتذليلاً وتغريباً ومصادرة وتعذيباً وهتكاً للأعراض وإفساداً للأخلاق على حين كان الانكليز يجهدون في استمالة كل أمير وزعيم منهم بما يروج عنده من ضروب الاستمالة قال إليهم بعض دون بعض وكان فيمن مال وشايهم مشايمة فعلية أو سلبية الأمير عبد العزيز بن سعود صاحب نجد وبعض شيوخ عرب العراق ووالامم شريف مكة (الملك حسين) وساعدهم على محاربة الترك بجيش مؤلف من بدو الحجاز وحضر سورية والعراق بقيادة أيرع أنشائه في الغزو والقتال الأمير فيصل (الملك السورية)

وقد اعترفوا له بيلالته وإخلاصه في إعانتهم على فتح القدس الشريف وعلى إيقاع الفشل والمخذلان في جيش الترك المدافع عن سورية حتى انهزم وتركها غنيمة باردة لهم ، وصرحت جريدة التيمس الشهيرة بأن الأمير فيصل لم يحسمه في نصر الحلفاء من غير أن يحصل على أى وعد منهم بشئ . ولكنه أعطى بعض الوعود بعد ما أخذ في النجاح ، وقالت إن الأمير فيصل كان يرغب في الاستقلال التام للحجاز وحده وأما لسائر الشعوب العربية فإنه يرغب لها في الاستقلال عن الترك فقط وأن تطلب كل البلاد العربية وصايا دولة واحدة عليها وتعنى دولتها انكلترا (ام ملخصا من عددها الاسبوعي المورخ في ١٤ فبراير سنة ١٩١٩) بل كانت موالاته الشريف أكبر مما ذكر في فوائدها السلبية والمعنوية ولا محل لشرح ذلك هنا ، ولو كان للامان مثل دهشهم لبقوم إلى استقالة العرب وكانوا على ذلك أقدر ، وإذا لاستطاعوا أن يجندوا منهم خمسمائة ألف أو ألف ألف جندي ولا أبلغ إذا زدت على ذلك ولا سيما إذا شملت هذه الاستقالة اليمن وسير ، ووصلوا إلى شواطئ

البحر الأحمر وبحر العرب ولم يكن ذلك عليهم بمسير
 فان قال ذلك القائل : فهمنا معنى التنوى في السيادة والحرب ومعنى كونهما من سين الله تعالى في النجاح ، ولكن خفي علينا ما بينت في تلك المقالات من أن هذه الحرب انتقام إلى عادل من الدول والشعوب الظالمة لنفسها والظالمة لغيرها الباغية على عباد الله التي لم تشكر نعمه تعالى باستعمالها فيما يرضيه من إقامة الحق والعدل ، واننا نرى ألوف الألوف من البشر تن من سلطة تلك الدول وحكمها وإذا كانت مصيبة صادقة في شكواها — لأنها مهضومة الحقوق بضعفها — فلماذا كانت عاقبة الحرب استمرار عقاب الله لها بالاستذلال والحرمان من الاستقلال ، ورفع المقاب عن أولئك الباغين ، وتحكيمهم في بلاد قوم آخرين ؟

إن قال ذلك القائل هذا القول وأورد علينا هذا الاشكال فاننا نجيبه بأن مايراه هو مشكلا لا نراه نحن كذلك ، فاننا نرى أن الأمم المستضعفة والظالمة لنفسها المظلومة من قبل الأقوياء المسلطين عليها بما كان من تفریطها ، لم يحصها ما حل بها ورجعها إلى رشدها ، وأن الدول الباغية الظالمة قد ذاقَت من الشدائد التي تعامل المستضعفين بيا ، ولم تنب وترجع إلى ربها ، كذلك شأن الدول والأمم

التي غلبت بهذه الحرب على أمرها ، فالعقاب الالهي لكل أمة ودولة لم يفتنه بهذه الحرب . ولا هي انتهت بما وضع من مساعدة الصالح مع بعض المتقاتلين دون بعض وما ذكرنا من فوز بعضهم وعلم كلته بما بيناه من سببه . لا دليل على ثباته ودوامه . وإذا طال العهد عليه بحثنا عما اقتضى ذلك من أسبابه وسن الاجتماع فيه ، واننا نرى هذا الفوز والفلاح يكاد يجر وراءه أسباب خسر وخفلاتان ، أهمها خسران لانكيز ذلك الصيت الحسن ، الذي غرسوا فصيله ، وزرعوا بزوره ، وتعاقدوا زوجه بما ينميه هذه أجيال ، حتى كانت الشعوب المستغلة من سلبهم استقلالها تغضاهم على غيرهم ، والشعوب المتألدة من غيرهم تمنى لو تنفياً ظل حكمهم ، ولكن لا يزال في الشعب الانكليزي ذى العرق الراسخ في مكارم الأخلاق ، وبعد الروية وطول الاناة ، وحب العدل والانصاف رجال يرجي أن يرجحوا القوة المعنوية ، على القوة المادية ، ويراووا الانقلاب الاجتماعي الجديد الذي فجرته هذه الحرب قواء التي جمعت في عهد إمبريكم تنفجر البراكين من الأرض ما آخر نقطة أو دفعة من الغازات المؤلفة لضغطها إذا قدر هؤلاء الرجال على مقاومة الاطماع الاحتكارية وضموها لدولهم سياسة جديدة تنفق مع مصالح مصر والهند والعرب والفرس وسائر الشعوب بقائها على مراعاة ما أشرنا إليه من الانقلاب الاجتماعي الأكبر - إذا قدر هؤلاء الفضلاء العقلاء على ما ذكرنا ، وتركوا لهذه الشعوب استقلالها في إدارة بلادها وسياستها وحالفوها على أن يكونوا هم المقدمين على جميع أمم المدينة في مساعدتها العلمية والفنية التي تبرز استقلالها وتعمير بلادها ، ورضوا من المكافأة على ذلك بالمنافع الاقتصادية والأدبية ، التي تكون بالتراضي لا بالقوة لا احتلالية ، فليس يؤسسون لشعبهم السكوني المجيد ، مجدا طريقا إلى مجده التليد ، بحيث يرجي أن يكون خالدا لا يبلى ولا يبيد ، عالم يرجع عن هذه الطريقة أو مجيد ، وحينئذ تكون له العاقبة الثابتة ، ويسترجع أضعاف ما فقد من ثروته المالككة ، من غير نفقات كبيرة ، كالنفقات التي لا يزال ينكبدها باحتلال البلاد المغلوبة ، ويكون سببا لاصلاح الكون ، وعمران الأرض / .

أكتب هذا باملاء العقيدة الثابتة ، المؤيدة بالدلائل الاجتماعية الناهضة ، لا يباعث الاغراض القومية ، أو قصد الاياديات السياسية ، تاركا تصديقه للزمان ، وتفسيره لحوادث الأيام ، وسنن الله في الأنام ، لا يبدل لسفته ولا معقب لحكمه ، لا راد لشئته

نموذج

من كتاب الفلسفة السياسية

تأليف المؤرخ الفيلسوف غوستاف لوبون الفرنسي

و الترجمة لعبد الباسط اخدى فتح الله البيرونى

عقد المؤلف الباب الأول من كتابه هذا لبيان أغلاط قوم في الفلسفة السياسية الاستعمارية . وجعل موضوع الفصل الأول منه بيان المبادئ والقواعد التي جروا عليها في الاستعمار فقال : —

مبادئنا الاستعمارية

لا ريب في أن المنازعات الاقتصادية بين الغرب والشرق ستكون من شواغل الفكر الجديد في القرن العشرين . وستتبع من الخراب والدم المهرق أكثر مما استتبعت حروب الأزمنة النافلة ، وسيكون للمستعمرات في هذه الخصومات القائمة بين مدنية ومدنية الشأن الكبير . وإذا لم يبق اليوم من يرى فينا من المصلحة في الاحتفاظ بمستعمراتنا فليس في وسعنا أن لا ننالي بما يشعل بها من هذا القبيل .

إن إدارة المستعمرات التي أنشأتها الأمم الأوربية تقوم على قواعد جد جلية . وإذا كانت هذه القواعد من بنات التجربة كان ينبغي أن تكون هي هي لدى الجميع . بيد أنها تختلف باختلاف الأمة عن الأخرى .

قد يكون في هذا التعبير عن اختلافها شيء من المبالغة لأن طرق الاستعمار التي تسلكها الدول الأوربية يمكن ردها إلى اثنتين نسلك الأولى منها نحن الافرنسيين وحدنا ، والأخرى يسلكها باعداءنا من الأمم . وإنتم تشيرون المستعمرة كل أمة لتستفيد منها وتبقى لها . أما نحن فالتنا نرفع عن أمثال هذه الأفكار الضعيفة ولكن لا يبرح بالنا أن وظيفتنا هي إتحاف شعوب الأرض بمناافع المدنية . لذلك ترى أن نحكم فيهم بأوضاعنا وأفكارنا ، تلك الأوضاع والأفكار التي هم وباللأسف مجمون على إبانها . وإذا كنا موقنين بمثلنا من الحق الصحيح فالتنا نصر على العمل بمذاهبننا . وسنظل

كذلك حتى يقوم لنا من القشل المتواتر دليل قوى على أن مبادئنا الاستعمارية المعطى إن هي إلا أغلاط محزنة في كافي جهتها النظرية والعلمية على حد سواء .

عقدت في كتابي «مدينيات الهند» فصلايين في أصول الإدارة التي تعمل بها انكلازة في فتح مستعمراتها وتدير شؤونها خصوصا الهند ، وكيف أن هذه المستعمرة قد أخضعت بأموالها ورجالها نفسها . وبأي حكمة هي مسوسة . وكيف يمكن أن تذهب هذه الامبراطورية العظيمة ذات يوم من أيدي المتغلبين عليها إذا هي حملت على مبدأ واحد من مبادئ الفلسفة السياسية الخاطئة . وإذا كنت مضطرا إلى الاختصار فداقصر البحث في هذا الفصل على الآراء الراضجة في فرصة لسياسة أدنى مستعمراتنا إلينا وهي الجزائر وعلى النتائج التي يؤدي إليها العمل بتلك الآراء .

إن الكتابات عن الجزائر لا تعد . غير أن كتابين منها كتبهما مؤلفان مضطلمعان بالأمرفضمنهما الوسط من الآراء المقبولة أحدهما ألفه الملامه «لوروا بوليو» من أساتذة مدرسة فرنسة ، والآخر ألفه مسيو « فينبون » من قدماء القناصل الافرنسين ليس من غرضي في هذا الفصل التحديق بالتفصيل عن نتائج استعمارنا الجزائري ولكن أقصد إلى بيان قيمة الفلسفة السياسية التي كان وسيكون عليها مدار العمل في إدارة البلاد زمنا طويلا فيما أرى وسيكون انتقادي للمبادئ فقط لا للرجال العاملين بها . لأن الذي يتصرف برجال الدولة هي الضرورات السياسية لا النظريات العلمية . ولما كانت الضرورات عبارة عن بنات الآراء فالي الآراء ينبغي أن توجه الموازنة لا إلى الأشخاص المسكرهين عن احتلالها . إذ ليس في استطاعة الواحد منهم أن يتولى الحكم بدونها . وأما تغييرها ففي غاية من الصعوبة لأن الشعب الافرنسي الذي هو بحسب الظاهر أدنى إلى الاقلاب من كل شعب قد يكون في الحقيقة أكثر شعوب الكون تمسكا بقديم .

إن الجزائر ناحية تساوي فرنسة في مساحتها . لكنها قليلة السكان . يقطها ستة ملايين من المسلمين الخاملين لأوضاعنا على رواية التنابر الرسمية . ولكن الحق الواقع أن هذا الاخلاص محتاج في تمكنه إلى جيش مؤلف من ٦٠٠.٠٠٠ رجل ، أعنى قدر الجيش الذي يستخدمه الانكلايز لاستبقاء طاعة — ٢٥٠ —

مليون هندي مهم - ٥٠٠ - مليون مسلم ^(١) ثم أكثر مهابة وأصعب مراسا من أهل الجزائر إخوانهم في الدين

ثم إن بين سكان الجزائر المسلمين ثمة ألف من الأوروبيين نصفهم فرنسيين فقط والنصف الآخر ألبان وطلبان ومالطيون الخ. هذه العناصر الأوروبية على اختلاف أصولها لا تتزاح مع المسلمين وإعما فتزاح فيها بينهما ولا تلت أن يشكون منها شجب ذو أخلاق متميزة مصالحه ستكون بالطبع أدنى إلى مصالح الجزائر منها إلى مصالح أم الوطن ^(٢) تلك التي هي بمثابة صيرى - كاهو الظاهر حتى الآن - دأه أن يمنع البلاد سككا حديدية ومؤسسات عمومية يعطيا مختلفة

المسلمون الذين هم القسم الأعظم من أهل الجزائر يحتوى سوادهم على سلالات من كل فامع من فامعى أفريقية ، ويظهر أن جمهورهم ثلثه من البربر والثلث الآخر من العرب . . بين المرابين فوارق ولكنها ضئيلة أهمها ما به يقسمون إلى بدو وحضر . وصيرى فيما يأتى - خلافا لفرى الشجب - دليلا على أن كلاً من من العرب والبربر يسهل البلور ومثلها الخضر

•

وأما كذب (موسبولوروا بوليو) فيمكن تلخيصه بكلمة واحدة تعرب عن الفكرة السائدة في فرنسا بشأن الجزائر وهى : قرنة المسلمين . أى إنهم لم عادات الفرنسيين وأخلاقهم . والطريقة السياسية التى سلكت حتى الآن لفرنسة هؤلاء المسلمين أو الاستيلاء عليهم بالفتح المسمى تشبه مهاج الأميركان الأولى فى معاملة أولئك الحمر الجلود إذ كانوا يقتصدون أرضهم التى فيها صيدهم ثم يتركهم يموتون كما يشؤون حوفا . هذه هى طريقتنا الإدارية فى الاكتساح على

(١) المنار : لعل المؤلف اعتمد فى هذه الأرقام على إحصاء قديم أو أراد بهذا العدد أهل الولايات التى يتولى إدارتها ولاء من الانكليز دور الملاد المستقلة فى إدارتها الداخلية وبمجموع سكان جميع الهند تزيد على ٣٠٠ مليون والمسلمون منهم يلفون زهاء ٩٠ مليون على ما سمعت من بعض أفاضلهم

(٢) أم الوطن الفرنسي باريس

وجه التقريب . ولقد أجاد في وصفها مسيو فينيون إذ قال :

« لما رأيت الدولة أن الولاية يصـدرون قسماً من أرض القبائل عقب كل ثورة حسبت أن المدالة تمكنها من منح أحاسن تلك الأراضي للمستعمرين بعد صد أربابها الوطنيين عنها

« وكما انتشر النصر الأوروبي كان الوطنيون يطردون عن تراث آبائهم بحيث أمسى الكثير من القبائل بعيداً عن الناحية التي كانت وطناً له

« وأما نتائج مثل هذه السياسة التي استمرت أكثر من ثلاثين سنة فلا يمكن أن تكون مبہمة : وهي أن العربي الذي رأى نفسه في رجوع مستمر لم يبق له شيء من الثقة بأن يحظى نعمة عمله ولم يعد يفكر في إتقان حرفه ولا تحسين أرضه والذي حرم أرض قبيلة المرورعة ومنع حق الاتعاض بموارد الماء لم يعد يستطيع الصبر على المحل وقلة القوت وموان المشاية واضراً . وكل هذه الآلام المصائب ماكانت إلا لتندكى الضمير في قلب الوطني غي المستعمر وتزيد في انتفاخ حسداته الخفاف بينها

« وأما قرار مجلس شيوخ الذي صدر عام ١٨٦٣ وأعلن حق عمليـك الأراضي للقبائل التي كانت متصرفة فيها فلم تكن فيه نهاية لطريقة دفع القبائل ، صد هاهنا أراضيها ولكنه غير صحيحاً وهيئتها إذ صارت تسمى اليوم «مير» الاستملاك لأجل المسافع العمومية ^(١)] ونماز هذه الطريقة بخـصـنـير : إعطاء الأرض إلى المستعمر بعد سلبها من الوطني وتكوين مناطق أدوية محصة بزراع شعب الوطني وإن كان من المالكين ويقع عليه بعد انتزاع ملكه بالقر . نعم إن مالك الأرض الأول يعوض عن أرضه ببدل نقدي قيمته المحاكم وهو يتراوح بين ٥٠ - ٦٠ درهماً لكل هكتار أي أنه يسدل بثلاثين أو أربعين هكتاراً من الأرض التي كانت تؤتيه كل موارد العيش الرعمدة حياته . مقدار من المال (١٥٠٠ - ٢٠٠٠) فرنك لا يكاد يقوم بأوده علماً واحداً أو خمسين »

وكان الاستعمار الرسمي أغرب أشكال التنفيذ لسلطة الحكومة القادرة على كل

(١) الاستملاك في اصطلاح القانون العثماني : انتزاع الملك من صاحبه بعد

تقدير ثمنه بمعرفة لجنة مخصوصة ويسمى في مصر «نزع الملكية»

شيء في الجزائر. آه! لو قرأ تاريخه في الكتاب الذي أقتبست منه الشاهد المتقدم إذن لرأيت نتائج إقطاع تلك الأراضي مجانا كل فئة من الساطنين الذين لا توازي قابليتهم لحرق الأرض إلا أكفأهم لتعليم اللسان الساكريقي، ولو رأيت نتائج إنشاء تلك الضياع الرسمية التي صارت اليوم قاعاً صفصفاً...

هذه التجربة المهلكة وما استلزمته من النفقات الباهظة لم تكن كافية لحماية عمالنا لأن أحدهم قد طلب منذ بضع سنين خمسين مليوناً لينتزع بها من العرب أملاً لا ينشئ فيها ضياعاً مكان الضياع التي أذهبا وأشتاهاها الخراب! ولكن دار الندوة - ولحسن الحظ - ردت اقتراحه هذا لأنه ولا ريب يدعو المسلمون إلى الثورة ويحتفر هوة جديدة تتردى فيها ملايين أم الوطن^(١)

ألا وان في عرض مثل هذا الاقتراح والبحث فيه - حتى أشركت أن يستجاب له - لدليلاً على أن الرأي الاستعماري لا يفرق بين لازل في الدرجة السفلى من التثقيف ولا عجب إذا كلفتنا الجزائر البالغ الحسم بفضل أمثال هذه التجارب لأن ما أنفقناه عليها يقدر بأربعة مليارات عدا جبايتها معها. فهل نوابداً من البلاد على الأقل بهذا المقدار من الأموال المبدولة؟ إذا صدقنا بذلك فلا ينبغي أن ننسى أن علينا أن نقوم بنفقة جيش عظيم لنحفظ فيها السلام حفظاً ما.



منذ فتح الجزائر تناوب سياستنا الاستعمارية مبدآن كان يرجع الواحد منهما على الآخر تبعاً لحركة الرأي العام أما إحداها فهو انتزاع ملكية العرب ودفعهم إلى الصحراء. وأما الآخر فحملهم فرنسيًا بحملهم على أرضاعها غير أن العرب لم يندفعوا بما ظنوا من الحاجة البالغة وهي أن الصحراء لم يعد فيها معاش لأحد، وقبل أن يرضوا بالموت جوعاً جعل الملايين منهم يمارضون بالمقارمة. فلام قبلوا التفرنج ولا هم رضوا بالاندفاع لأنه لم يوجد حتى الآن شعب

(١) الشار: المراد ملايين دراهم (فرنكات) أبناء أم الوطن باريس

تمكن من تعبير وضعه المعنوي من أجل اتحاله وضع أمة أخرى فكنا الطريقتين
مقوتتان والانتقال من إحداها إلى الأخرى لا يرجى منه إصلاح لها . وبناء على
هذا فستظل سلسلة هذه التجارب المدمرة تزداد حلقة بعد حلقة إلى أن يأتي يوم
يهتدى فيه حكمانا فيعرفون أن أبسط حل لهذه المشكلة وأقله مؤنة وأوفره
حكمة . هو أن يتركوا للبلاد المنتجة أوضاعها وعاداتها وشكل حياتها وهندستها
كما تفعل الأمم المستعمرة كلها خصوصاً الانكليز والفرنك

أما هذا الحل فقد يكون الآن ضرباً من المحال لأن الرأي العام ضده دليل
ما ترى من سلوك أهل الحل والعقد فينا وما نجد من الأفكار المبثثة في الجرائد والمؤلفات
ولما كنا نحن أهل الغرب قد أطلقنا من قيود العقائد الدينية ^(١) فانا نظن
الأمم كذلك في أرجاء المعمورة . وقبليل من المؤلفين الأوربيين الذين أدركوا
أن أمر الدين في الشرق فوق كل الأمور ، فإن الأوضاع المدنية والسياسية والحياة
الاجتماعية والقرية هي ~~في يد أتباع محمد~~ كما هي لدى أتباع صارا وبوخه مرجعها
إلى الشريعة الدينية . والاكل والشرب والنوم والحرق كلها أفعال عبادة عند
أهل الشرق.

ولقد أدرك الانكليز ذلك حتى أنهم رغم تصلبهم في مذهبهم البروتستانتي
ليرمعون في الهند معابد الوثنيين ويجرون على كهناتها الوظائف الواسعة على حين
يضمنون على رسل دينهم بأدنا المساعدة وإليك مهابها تهرت لانه أثر رجل واحد
نحت سماء انكلترا يؤيد القول بأن دمار مستعمرة أولى من تعطيل مبدأ .
ولقد كان ينبغي أن يكون أساس سياستنا حماية الدين الاسلامي والاستظهار

(١) المنار : المراد قيود العقائد ما كانت السكينة تنبذ به حرية العلم والارادة
والعمل من قيود الحظر والتجريم التي تموقها عن السير في سبيل الرقي وهذه القيود
لا وجود لها في الاسلام ولكن الذين اتبعوا سنن من قبلهم من متفقيتنا اخضعوا لنا
قيودا مثلها ونحن نماني الصواب في كسرها أو الانطلاق منها مع الحذر من الفلوس
الذي جنى على المريين بترك بعضهم للعقائد ضللا لا القيود التي أضيفت اليها فقط

بذوات النفوذ من جمعياته الدينية وتأييد سلطة الفقهاء عوضا عن مناجزتها وإضعافها إن أول «مقيم» أفرنسي في تونس كان من نواذر الحكام المضطلمين بشؤون الشرق فقد دل على مبلغه من الحفاقة في السياسة إذ طلب إلى باي تونس إذ ذاك أن يصدر منشورا دينيا يثبت للمؤمنين مشروعية الأحكام التي كان يريد وضعها لكن ما كان أسرع أولى الأمر منا إلى عزله .

احترام شعائر الدين عند العرب هو باحترام أوضاعهم لأن الأوضاع إنما هي متفرعة عن العقائد الدينية كما بينت آنفا — بيد أن «موسبولوروا بوليو» برد هذه السياسة وبعثها بسياسة «التمغف» ويقول «إن الاحترام التام لسنن مابسي بالقومية العربية وأخلاقياتها يقضي نترك حيشنا ومستمرينا لأرض أفريقيا» لماذا يأتري ؟ قد ذهل المؤلف عن بيان السبب ، إنه لمصر عليه فيما أعلن أن يجد لرأيه طلاء من سبب معقول . إن السياسة التي أقروها هي غير السياسة التي يجري عليها الانكليز مع المسلمين في الهند دون أن يكون لهم (أي الانكليز) أقل ميل إلى ترك ملكهم ذاك العظيم

وأما الوسائل التي يشير بها «موسبولوروا بوليو» فهي مواضع لارائنا في المساواة العنصرية ومؤداها « مرج المصير الوطني بالمصير الأوروبي » وتعريف هذا المزج حالة لجامعة تجرى فيها على شعبين مختلفين في الأصل أحكام اقتصادية واجتماعية واحدة وقوانين عامة واحدة مع خضوعها من حيث الانتاج لمؤثر واحد

هذه الصورة تبدو باهرة وهي مرسومة على الورق . وإنما لأمنية المساواة التي يتمتعها أهل النظر منا من أبناء سنة ٩٣ والوقت الحاضر . ولكن يسخر منها أدنى المستخدمين في حكومة الهند الملكية . ولا عجب فقد يمكن أن يكون الرجل عالما مشهورا ولا يكون له إلمام دهاوية التي تفصل الشرق عن الغرب في الافكار والوجدان .

على أننا نجد المؤلف يتنبه لبعض العقبات في سياسته المزجية ولكنه يتسورها بسهولة ، فهو يوقن من غير دليل « أن البدو لا يختلفون عن الأوروبيين إلا في أمر

واحد ، ألا وهو الدين ؟ فما أعظم هذا الخطأ ! وقد يكون الأقرب إلى الحقيقة أن يقال إن بين غلوى من عصر برينوس وبين باربرى من أبناء اليوم من الفرق العظيم مثل ما بين أوروى متمدن وبين بررى من أبناء الزمن الحاضر ، وبرزم (مسيو لوزوا بوليو) أنه لما كان البربر والأوروبيون من أصل واحد بقى العرب وحدهم موضوعا لفرنسة فهم الذين يفتقون أن يفرنسوا ويظهر له أن الأمر سهلا جدا « ينفى — حسب إيضاحه — أن تغير مناهج القبيلة تغييرا تاما وكذلك طريقة الملك وتمدد الزوجات فإذا تم ذلك لم يبق إلا تغاربع يظفر بها بمرور الزمن »

هذه التحولات الصغيرة التي قد تسمى الخلل من الاشتراكين يراها المؤلف من السهولة بحيث لم يرفى بيان الوسيلة إليها فائتة . غير أنى أظهر أن كل من ألف النظر في طبيعة العرب المعسوبة يجد أن ماى إحداث هذه السميرات من الصعوبة لا يقل عما يوجد منها في حمالك واحدا من أبناء استرالية أستاذنا في كلية فرنسة . و (موسيو بوليو) ليس بدى شفقة على العرب الذين ينظر إليهم نظره إلى فئة من الهمج وبحسب أن مجدهم مكنون على الصورة القديمة لسكل شعب بدوى فهو يظهر أن كل العرب من قبيل ازعة وأن العرب من أهل الحضر . ومن يقرأ ما كتبه ابن خلدون في القرن الرابع عشر يعلم أن قصة بربر الجزائر إلى بدوى وحضر ليست بنت الأمس . وأما التمييز بين البربر والعرب الذي جنح له فريق من المؤلفين من حيث القابلية لتمدن فانه كان مبني على ملاحظات جد سطحية لا يستطيع اليوم تأييدها ، ولما كان شكل الوجود متعلقا بالبيئة كانت الحياة الاجتماعية بنوعها بدوية وحضرية ناعمة لطبيعة الأرض لا لطبيعة السلالة . ففي السهول المرملة يكون كل من العرب والبربر من الرحل كما أن كلا منهم يكون مقبلا في الجهات المنحسبة وفي كل قطر يسكنه العرب : كالجزائر ومصر وسورية والجزيرة قجد منهم البدوى والمنحضر غير أنى لا يظهر لى أى من العرب المنحضر والبربر المنحضر يفوق الآخر من حيث الكمال العقلى . وإذا لم يكن بد من الميل إلى إحدى الطائفتين فالأولى أن يكون إلى العرب أصحاب تلك المدنية القديمة الباذخة . لأن البربر ما كانت لهم إلا مدنية طفلة ناقصة

وأكثر ما يلج به (موسيو بوليو) من الإصلاح منع تعدد الزوجات ، ولكنه يدخل دائماً عن أن يبين لنا الوسيلة العملية إلى ذلك ، فهو يفيض في بيان فوائد وحدة الزوج ويظهر لمعاصريه أن البيت هو الأصل ملك المرأة الفرد وبدونها تفقد العائلة روحها ، ويفقد البيت أداة سعادته ، ويقول أن التعدد من أعظم الأسباب في ركود المجتمع العربي .

بيد أني لأريد أن أدخل جوف المسألة ، ولا أن أعترض بأنه لما كان تعدد الزوجات مذهباً للشرقيين كافة كان لابد لهذه العادة من أسباب قوية . كما أني لا أنكلف توجيه النظر إلى أن التعدد الشرعي عند المشاركة هو خير من التعدد النفاق عند الأوربيين وما يتبعه من المواليد الحرام ، فإن في كتابي (تاريخ الحضارة العربية) شرحاً كافياً لهذه المسائل وغيرها والناسطر فيه يجد أن دور «الحريم» في عهد الدولة العربية أنتج من bes-bleus والنساء العلمات قدر ما أنتجت مدارس إنانثا من ذلك . وقد اتضح اليوم أن تعدد الزوجات ما كانت قط حجة في ركود المسلمين ، وهل من حاجة بعد إلى التذكير بأن العرب وحدهم هم الذين أظهروا لنا العلم اليوناني - اللاتيني ، وأن مدارس أوروبا الجامعة - ومنها جامعة باريس - عاشت ستمائة عام بفضل مترجم من كتبهم وسجها مناهجهم ؟ ثم أن المدنية العربية كانت من أبحر المدنيات التي عرفها التاريخ . نعم أنها قضت كما قضى كثير غيرها ، ولكن من القناعة بالأدلة السطحية أن نعوذ إلى تعدد الزوجات ما هو نتيجة لغيره من الملل المهنة .

على أنه لم يتضح لنا السبب في كراهية الاستاذ الفاضل لتعدد الزوجات وهو ينبغى أن التمدد محصور في البيوتات الموصرة ، وأنه قد قل انتشاره ، فإذا صار التعدد إلى غاية من الندرة وقلة التأثير فباله ينبغي إطلاله ؟ وكيف يمكن إقامة الدليل على أن هذه العادة « من أعظم الأسباب في الركود الذي يتصف به المجتمع العربي »^(١) .

(١) المنار : ليتأمل هذا البحث الذين يقدون منا أصحاب الاهواء السياسية فينا فهذا العالم القليل سوف يقرر ما يعتقد عن بحث وعلم وأولئك السياسيون يشنون علينا ما يحبون أن نخلعوا عليه لأجلهم لا لأجلنا .

يعد (موسيو لوروا بوليو) تربيئنا اللاتينية من الوسائل المقدمة لاصلاح الغرب
 لاجرم أن هذا هو الرأي العام واليوم . وقد كان لي منه نصيب كثير الناس . ولم
 أعمل عنه إلا بعد تجشم الكثير من الأسفار وتوفير البيوت ، وإني - وإن لم يكن
 لي أمل في هداية واحد من القراء الفرنسيين إلى رأيي - لا بد لي من بسط فكري
 كله نظرا لخطورة الموضوع في فصل آيين فيه أن التعليم الاوربي عدا كونه لا يحسن
 شيئا من حالة الوطنيين ، لا نتيجة له - وى يشقشقه مادة ومعني ، وما كان ليستجبل على
 أحد استدراك أسباب الاثر السوء الذي أحدثته تربيئنا الأوربية في سلالات
 هي أدنى من السلالة الأوربية أو بينهما فرق عظيم . تلك التربية التي اتخذناها
 بعد تطورات ملائمة لشعورنا وحاجاتنا ما كانت لتلائم شعورا وحاجات نفعاتها . وما
 كانت نتائجها الا دلي غير مفاجئة العربي أو الهندى أو غيرها من أهل الشرق
 لسلب ميراثه من الأفكار التي قامت عليها أوضاعه وعقائده التي هي قاعدة وجوده
 ولا تحققت أمة (موسيو لوروا بوليو) وغيره من المؤلفين الذين يطرون تربية
 الغرب الأوربية لكانت لنا الجزائر كما كانت البندقية لتساويين وكارلندة اليوم
 للاسكيز وكالاتراس للألمان .

كشف الشبهات (*)

٢

فاذا عرفت أن هذا الهدي يسميه المشركون في وقتنا «الاعتقاد» هو الشرك الذي
 أنزل فيه القرآن وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه ، فأعلم أنت شرك الأولين
 أخف من شرك أهل وقتنا بأمرين (أحدهما) أن الأولين لا يشركون ولا
 يدعون الملائكة والأولياء أو ثامنا مع الله إلا في البرخاء . وأما في الشدة فيخلصون لله
 الذين كمال تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم
 إلى البر أعرضتم وكأن الانسان كفورا) وقوله (قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو

أتاكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين؟ بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء. وتنسون ما تشركون) وقوله (وإذا مس الإنسان ضرر دعا ربه منيبا إليه - إلى قوله - قل تمنع ب كفرك قليلا إنك من أصحاب النار) وقوله (وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين). فمن فهم هذه المسئلة للتي وضحا الله في كتابه وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون ساداتهم - تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين. ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسئلة هما راسخا؟ والله المستعان.

والأمر الثاني - أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله إما نبييا وإما أولياء وإماما لا نكحوا. ويدعون أشجارا وأحجارا وطبيعة فإستعصية وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقه وترك الصلاة وغير ذلك، الذي يعتقد في الصالح والذي لا يلقى مثل الخشب والحجر أنهم ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به

إذا تحققت أنت الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح عقولا وأخف شركا من هؤلاء فاعلم أن هؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم، فاصنع ممحك لجوابها، وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون الرسول، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، يجهلون سحرا ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم، فكيف نجعلوننا مثل أولئك؟ فالجواب أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء وكنى في شيء أنه كافر لم يدخل في الاسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد ببعضه، كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد لزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد بالحج. ولما لم يتقد أناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم للحج أنزل الله في حقهم (وقل على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، ومن

كفر فان الله غنى عن العالين) ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع
وحل حله وماله كما قال جل جلاله (إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن
يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا
بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا) فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن
من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا زالت هذه الشبهة وهدى هي التي
ذكرها بعض أهل الإحصاء في كتابه الذي أرسل إلينا

ويقال إذا كنت تتر أن من صدق الرسول في كل شيء وجحد وجوب
الصلاة إنه كافر حلال الدم بالإجماع ، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث ،
وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان . لا يمجدها ولا يتخلف المذاهب فيه وقد
نطق به القرآن كما قدمنا فلو لم أن التوحيد هو أعظم مريضة جاء بها النبي صلى الله
عليه وسلم وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج فكيف إذا جحد الإنسان
شيئا من هذه الأمور كفر بل وعمل بكل ما جاء به الرسول وإذا جحد التوحيد الذي
هو دين الرسل كلهم لا يكفر سبحانه الله ما أعجب هذا الجهل

ويقال أيضا : هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بني حنيفة
وقد أسلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله ويصلون ويؤذنون فان قال إنهم يقولون إن مسيلة بنى . قلنا هذا هو
المطلوب . إذا كان من رفع رجلا إلى رتبة النبي صلى الله عليه وسلم كفر وحل ماله
ودمه ولم تنفع الشهاداتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شيئا من يوسف أو محبيا
أو نبيا في مرتبة جبار السموات والأرض ؟ سبحانه الله ما أعظم شأنه ! (كذلك
يطعم الله على قلوب الذين لا يعلمون)

ويقال أيضا الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار كلهم يدعون الاسلام وهم
من أصحاب علي وآدموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في
يوسف وشعان وأمثالهما ؟ فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم ؟ أقفون أن
الصحابة يكفرون المسلمين أم قتلون الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد
في علي بن أبي طالب يكفر ؟

و يقال أيضا : بنو عبيد القديح الذين ملكوا المغرب وصر في زمان بنو العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويدعون الاسلام ويصلون الجمعة والجماعة طمأنة ظهور مخالفة الشريعة في أشياء مدين مانحن في أجمع العلماء على كفرهم وقتلهم ، وأن بلادهم بلاد حرب ، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين .

ويقول أيضا . إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وانكار البعث وغير ذلك . فامعني الباب القدي ذكر العلماء في كل مذهب « باب حكم المرتد » وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه ، ذكروا « أنواعا كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله ، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها لسانه دون قلبه ، أو كلمة يذكرها على وجه المزح والغيب

ويقال أيضا : الذين قال الله فيهم (يخلفون ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم) أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ يجاهدون معه ويصلون معه ويذكرون ويحجون ويؤدون ؟ وكذلك الذين قال الله فيهم (قل أن الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) هؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم تكفرون المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون (تم تأمل) جوابها فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق :

ومن القليل على ذلك أيضا ما حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاتهم أنهم قالوا لموسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) وقول ناس من الصحابة « اجعل لنا ذات أنواط » فحلف صلى الله عليه وسلم أن هذا نظير قول بني إسرائيل (اجعل لنا إلهاً)

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة وهي أنهم يقولون إن نبي إسرائيل لم يكفروا وكذلك الذين قالوا « اجعل لنا ذات أنواط » لم يكفروا . فالجواب أن تقول : إن نبي إسرائيل لم يفعلوا ذلك . وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ ، ولا خلاف أن نبي إسرائيل لم يفعلوا ذلك ولو فعلوا ذلك لكفروا وكذلك لا خلاف أن الذين نهام النبي ﷺ لو لم يطيعوه وانخدعوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب .

ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك ، لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل « التوحيد ههنا » أن هذا من أكبر الجهل وسكايد الشيطان (وتفيد) أيضا أن المسلم إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري منه على ذلك وثاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ (. تفيد) أيضا أنه لو لم يكفر فإنه يفتن عليه الكلام تغليظا شديدا كما فعل رسول الله ﷺ .

والمشركين شبهة أخرى يقولون : إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله وقال « أفنكته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » وكذلك قوله « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » وأحاديث أخرى في الكفر عن قائلها ومراد هؤلاء الجهلة أن من قائلها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل : فيقال هؤلاء الجهلة معلوم أن رسول الله ﷺ قتل اليهود وسبهم وهم يقولون لا إله إلا الله وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ ويصلون ويدعورون الإسلام . وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار . وهؤلاء الجهلة يقولون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله وأن من جحد شيئا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قائلها ، فكيف لا تنفذه إذا جحد فرعا من الفروع وتنفذه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه ؟ ولكن أعداء الله مانعوا معنى الأحاديث .

فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه مادي

الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك وأمر الله تعالى في ذلك (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) أي تثبتوا ، فالآية يدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت فإذا تبين من بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله (فتبينوا) ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى ، وكذلك الأحاديث الأخر وأمثله ، معناه ما ذكرناه إن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه ، إلا أن يتبين منه ما يناقض ذلك والحدليل على حد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي قال « أقتلته بسد ما قال لا إله إلا الله ؟ » وقال « أموت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » هو الذي قال في الخوارج « آيتنا قيسوم فاقتلوم لئن أدر كنهم لأقتلنهم قتل عاد » مع كونه من أكثر الناس عبادة وتبليلاً حتى أن الصحابة يحترقون أنفسهم عندهم ، وتمطوا العلم من الصحابة فلم تنفعهم « لا إله إلا الله » ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفته الشريعة

وكذلك ما ذكرناه من قتل اليهود وقتل الصحابة من حنيفة ، وكذلك أراد صلى الله عليه وسلم أن يميز بين المصطلق لما أخبره رجل منهم أنهم منعوا الزكاة حتى أمر الله (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق ببيان فتبينوا) وكان الرجل كاذباً عليهم . وكل هذا يدل على أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه

ولهم شبهة أخرى وهي ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فكلهم يستغث حتى ينفذوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً

والجواب : أن قول سبعان من طبع على قلوب أعدائهم أن الاستغاثة بالخلق فيها يقصر عليه لا تنكرها كما قال تعالى في قصة موسى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من بعده) وكما يستغث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقصر عليها الخلق ، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في

بهيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله . إذ ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يسفرح أهل الجنة من كرب الموقف وهذا جائز في الدنيا والآخرة أن تأتي عند رجل صالح حتى يجالسك ويسمع كلامك تقول له ادع الله لي كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه في حياته وأما بعد موته فحاش وكلا أنهم سألوا ذلك بل أنكروا السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعائه نفسه

ولم شبه أخرى وهي قصة إبراهيم لما ألقي في النار اعترضه جبريل في الهواء فبذل : ألك حاجة ؟ فقال إبراهيم أما إليك فلا . قالوا فلو كانت الاستغاثة شركاً لم يعرضها على إبراهيم

فالجواب أن هذا من جنس الشبهة الأولى فإن جبريل عرض عليه أن ينفضه بأمر يقدر عليه فإنه كما قال الله فيه (شديد القوى) فلو أذن له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها ويلقيها في المشرق أو المغرب لعل ولو أمره الله أن يضع إبراهيم عنهم في مكان سيد لفعل ولو أمره أن يرصه إلى السماء لفعل ، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه أن يفرضه أو يهبه شيئاً يقضي به حاجته فيأتي ذلك المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله رزق لا مئة فيه لأحد ، فإين هذا من استغاثة الصابدة والشرك لو كانوا يفقهون ؟



ونختم الكلام بمسئلة عظيمة نفهم مما تقدم لكن نفرد هذا الكلام لعظم شأنها وليكثر الغلط فيها فقول : — لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختلف شيء من هذا لم يكن للرجل ملء ، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر مماند ككفر فرعون وإبليس . وهذا يخلط فيه كثير من الناس يقولون : هذا حق ونحن نعلم هذا ونشهد أنه الحق ولكن لا تقدر أن نفضه ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وأصهم ، أو غير ذلك من الأعذار ، وإما يدرك المسكين أن جبال آفة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار كما قال تعالى (استمعوا بأيات الله ثمنا قليلا) وغير ذلك من الآيات كقولهم (يعرفونه كما يعرفون

أبناءهم) فان عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه ولا يستفهمه بقلبه فهو منافق وهو شر من الكافر الخالص (إن المناهقين في الهدى الأسفل من النار)

وهذه المسئلة مسئلة طويلة تبين لك إذا تأملتها في السنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به خوفاً نقص دنيا أو جاء أو مداراة لأحد . و ترى من يعمل

به ظاهراً لا باطناً ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله أولاً قوله تعالى (لا تستدروا قد كفرتم بعد إيمانكم) فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا

الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر ويعمل به خوفاً من نقص مال أو جاء أو مداراة لأحد

أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها . والآية الثانية قوله تعالى من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان . ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم

غضب من الله ولهم عذاب عظيم • ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة (الآية) فلم يعنوا الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان وأما غير

هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعل خوفاً أو مداراة أو مشقة بوطئه أو أهله أو عشيرته أو ماله ، أو فعل على وجه المزح أو لنفي ذلك من الأغراض إلا المكره

فالآية تدل على هذا من وجهين الأول قوله (إلا من أكره) فلم يستثن الله تعالى إلا المكره ومعلوم أن الانسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل وأما عقيدة

القلب فلا يكره أحد عليها والثاني قوله تعالى (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا) فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل والبغض للدين

ومحبة الكفر وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا

اتمى كتاب كشف الشبهات

تقرير لجنة مشيخة الأزهر الشريف^(١)

المؤلفة لفحص مشروع تعميم التعليم الأولي

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر

شيخ الجامع الأزهر

يا صاحب الفضيلة : بما لك من الحق الشرعي والرياسة الكبرى الدينية في
الديار المصرية . أصدرت أمرك إلينا بتعيين لجنة منا لفحص مشروع تعميم التعليم
الأول مع تقريره الذي أصدرته لجنة وزارة المعارف العمومية المؤلفة بالأمر الوزاري
في ٣٠ مايو سنة ١٩١٧ والذي فرغت من وضعه في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٨ طالبة
أن ينفذ العمل به من أول أبريل سنة ١٩٢٠ دينا تأخذ الحكومة المدة لتنفيذ
وهانحن أولاء نقشرف برقم تقريرنا هذا إلى فضيلتكم شاملا لما نحن لنا في
الموضوع والله الهادي إلى سواء السبيل .

(١) اللجنة ترحب بمشروع تعميم التعليم الأولي من حيث هو تعميم لتعليم
طبقات الأمة بأسرها وتعتبره بده خير جديد للأمة المصرية في سائر شؤونها
ومصالحها الدينية والدنيوية قال الله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون) .

(٢) خلاصة المشروع من الوجهة التي تهمننا هو أن يعمل كل مجلس مديرية
في المديرية وكل سلطة معادلة له في المحافظات على إيجاد مدارس أولية في كل

(*) نشرنا هذا التقرير إنجازا لما وعدنا به في الجزء الماضي . وقد قال لنا أحد
أعضاء لجنة المشروع : تذكروا أن المشروع وضع في غير هذا الوقت واتا نسلم
له أكثر الانتقاد الذي ورد عليه الخ .
صالح رضا

مدينة وقرية تضم كل سنة عددا من البنين والبنات الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة والحادية عشر بسبة واحد في المائتين من مجموع السكان وذلك بأن تأخذ ٠.٤٪ من البنين ٢ ونصف ٠.٪ من البنات حتى تكون نتيجة هذه المدارس بعد عشرين سنة تعليم ٠.٨٠٪ من مجموع البنين و ٥٠٪ في المائة من مجموع البنات ماعطى المصرى وذلك يعادل ١٠ في المائة من مجموع السكان ينلقون في تلك المدارس دراسة مناسبة وفق منهج خاص تفضله وزارة المعارف العمومية أو تفرده يشمل على الأقل تعليم الديانة والقراءة والكتابة والحساب وغير ذلك من المواد التي يمينها وزير المعارف العمومية (فقره ٤٥ و ٤٧ ومادة ١ و ٢)^(١)

(١) نص الفقرة ٤٥ (تعرض العاجل من القانون) يرى مشروع القانون الذي وضعناه إلى أن يندأ في كل مدينة وقرية في مدة لا تتجاوز عشرين سنة مدارس أولية حسنة البناء جيدة الملبس يبلغ مجموع تلاميذها ٨٠ في المائة من أشاء الأمة ومجموع تصبذاتها ٥٠ في المائة من سائها ممن تتراوح أعمارهم وأعمارهم بين السادسة والحادية عشرة . وانا نرى أن هاتين السنتين هما الحد الحقيقي الذي يجب التمويل عليه في إعداد ما يلزم من الأمكنة إذا راعينا أن عددا من الأطفال سيصرف عن التعليم وأن آخرين سيلحقون بمدارس الابتدائية وغيرها وراعينا العادة التي لا تزال سيطرة على قسم كبير من الأمة وهي قلة الرغبة في تعليم البنات ونحرم المرأة من قيود الجهل وأغلال الأمية

والفقرة ٤٧ (نسبة تلاميذ المدارس الأولية بالبلاد الغربية) وإذا قدرنا نسبة التلاميذ المصريين الذين يجب تعليمهم بالمدارس الأولية ممن تتراوح أعمارهم بين السادسة والحادية عشرة ثمانين في المائة من مجموعهم ونسبة التلميذات اللاتي من هذه الأعمار مئتين في المائة من مجموعهن فإن مجموع ذلك يعادل ١٠ في المائة من مجموع سكان القطر . أى إن بلوغ هذه الغاية يرفع درجة التعليم في مصر إلى درجة إيطالية وأسبانية وبلغارية وفلمنية وبلاد اليونان =

== ونص المادة الأولى (تعريفات) العبارات الآتية يقصد بها في هذا القانون ما يلي :

(أ) المدرسة الأولية معهد تلقى فيه دراسة مناسبة لأبناء المصريين بين السادسة والحادية عشرة من هجرهم . ويكون التعليم فيها باللغة العربية فقط وفق منهج خاص يدرسه وزارة المعارف العمومية أو تفرعه يشمل على الأقل تعليم القراءة والكتابة والحساب وغير ذلك من المواد التي تعينها وزارة المعارف العمومية (ب) « السلطات المعادلة لمجالس المديرية » هي السلطات التي يخولها هذا القانون أو أي قانون يليه أن تتولى في المحافظات ما تتولاه مجالس المديرية من شئون التعليم الأولي في المديرية

(ج) « المدارس الأولية الأهلية » هي المدارس الأولية التي لا تديرها مصالح الحكومة لا مجالس المديرية أو السلطات المعادلة لها

(د) المدارس الأولية الأهلية المعترف بها « هي المدارس الأولية الأهلية التي ترى وزارة المعارف العمومية أنها قد أدركت الغرض المقصود من هذا القانون من حيث أمكنتها ومعداتها والقائمون بالتعليم فيها ودارتها العمومية

(هـ) « السلطة البلدية » كل مجلس بلدى أو مختلط أو محلى أو قروى أو أي سلطة منتخبة من هذا القبيل تخول حق إدارة الشئون المحلية بإحدى المدن أو القرى

(و) « السنة » هي السنة المالية المنفق عليها في الحكومة المصرية

وهي المادة الثانية (إنشاء المدارس الأولية) يجب على كل مجلس مديرية (في المديرية) وكل سلطة أو سلطات تماثل (في المحافظات) أن يوجد كل سنة من المدارس الأولية المناسبة ما يكفي لنصف في المائة (أي لواحد في كل مائتين) على الأقل من مجموع السكان الذين في دائرته باعتباره كل مدينة أو قرية وحدة قائمة بذاتها ، لها مخصصها من المدارس بنسبة عدد سكانها

وبنتى هذا الوجوب فيما يختص بأي مدينة أو قرية متى أصبح بها من المدارس الأولية الساسة ما يكفي لعشرة في المائة من عدد سكانها . ومع ذلك يجوز لمجالس المديرية والسلطات المعادلة لها أن تستمر في إيجاد معاهد حديثة ==

تأثير المشروع من الوجهة الدينية

إن تعليم القرآن للأطفال والعمل على حفظهم له في هذه السن (من سن ست سنوات إلى إحدى عشرة سنة) أمر جرت عليه الشعوب الإسلامية منذ التاريخ الإسلامي لاسيما الشعوب العربية وخاصة منها القطر المصري حتى قال ابن خلدون في الفصل ٣٢ الذي كتبه في هذا الموضوع : أعلم أن تعليم الوهمان للقرآن صار شعارا من شعار الدين أخذ به أهل الأمة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائمه من آيات القرآن و بعض متون

للتعليم بعد بلوغ هذا الحد في الجهات التي تتطلب أحوالها ذلك

وجميع المدارس الأولية التي تدبرها مجالس المديرية أو السلطات المعادلة لها في وقت صدور هذا القانون وكذلك المدارس الأهلية التي يتعرف بها فيما بعد يمكن اعتبارها وافية بما تتطلبه هذه المادة من انشاء المدارس وافتتاحها إذا أقرتها وزارة المعارف العمومية . ولكن لا يجوز اعتبارها كذلك إلا عن السنين الأخيرة من السنين المقررة لانفاذ هذا القانون

وتقرر وزارة المعارف العمومية عدد مائته كل مدرسة أولية من التلاميذ . ولا يتعمد على مجالس المديرية أو السلطات المعادلة لها أن تنشئ مدرسة في جهة ما أو توسع في شأنها إلا إذا كان عدد التلاميذ الذين يراد إيجاد مجالس لهم على النسبة الموضحة في الفقرة الأولى من هذه المادة قد بلغ ١٥٠ تلميذا في المدن التي يزيد عدد سكانها على ٨٠٠٠ نفس أو ٧٥ تلميذا في البلدان التي يتراوح عدد سكانها بين ٤٠٠٠ و ٨٠٠٠ نفس . أو ٤٠ تلميذا في البلدان والقرى التي يقل عدد سكانها عن ٤٠٠٠ نفس

وكذلك لا يحتم على مجالس المديرية أو السلطات المعادلة لها أن تنشئ مدرسة أولية في جهة ما أو توسع في بنائها مادام بمبارسها الأولية الجاسعة للشروط المطلوبة من المجال مايزيد كثيرا على مبلغ إقبال الأهالي في تلك الجهة على التعليم ويكون البت في ذلك لوزارة المعارف العمومية

الحديث وصار القرآن أصل التعليم الذى ينبغى عليه ما يحصل به من المملكات، ومعلوم أن ولدانهم أبناء هذه السن التى يقضى المشروع بالاستيلاء عليهم فيها ويكون القضاء على حفظ القرآن فيها . ولا ندري كيف غاب ذلك عن لجنة الوزارة وهى بنفسها تقول فى تقريرها المرفق . بالمشروع (فقرة ٥٩) عن المستر لى فى كتابه الديمقراطية والحرية ج ٢ ص ٦٢ « والقاعدة الوحيدة التى يعول عليها أن يجعل الشارحون نصب أعينهم رغبات الأمة وميولها كيفما تنوعت أشكالها وأن يسعوا إلى تحقيقها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا » ^(١)

بل رعى أحد الأعضاء بهذا العنوان كما جاء فى التقرير (فقرة ٨٣) ^(٢) إلى أبعد من ذلك حيث لفت أنظار اللجنة قائلا: إن الإعفاء من الخدمة العسكرية لحفظ القرآن القاضى به قانون الفقرة الصادر فى سنة ١٩٠٢ عقبه فى سبيل التعليم الأولى ونحن

(١) نص هذه الفقرة ٥٩ (الصمر بات الدينية) لا تؤكد توجد مملكة من الممالك إلا كان نمو التعليم الأولى فيها مصحوبا بمتببات ناشئة من صعوبة التوفيق بين الآراء المتضاربة فيها بشأن التعليم الدينى . ولقد كانت هذه المسألة دائما منبع جدال طويل وربما جاز القول بأنها لم توفق مملكة من الممالك إلى حلها خلا مرضين جميع الوجوه . ثم عبارة المستر « لى » المذكور أعلاه

(٢) نص الفقرة ٨٣ (تأثير قانون الفقرة) لفت أحد الأعضاء المسلمين نظر اللجنة إلى المراقيل التى يضمها قانون الفقرة الصادر فى سنة ١٩٠٢ فى سبيل وضع نظام واف للتعليم الأولى لأن الفقرة السادسة والعشرين منه تنهى من الخدمة العسكرية لحفظ القرآن الكريم إذا لم تكن لهم مهنة أخرى . ولما كن المصريون ينفرون أشد التنفور من الخدمة العسكرية كان معظم الأهلىين شديدى الرغبة فى العمل على إعفاء أبنائهم منها وكانت الوسيلة الوحيدة لذلك عند الفقراء منهم أن يمدوا أبنائهم ليكونوا حفظة وأن يعثوهم إلى الكتائب الأهلية لقضاء جميع أوقاتهم فى حفظ القرآن بدلا من إرسالهم إلى المكاتب المنتظمة حيث يتعلمون تعلموا وبذلك مع تلقى المقدار الكافى من التعليم الدينى ، أما ما يشرطه هذا القانون من عدم

مع دعشنا من هذا الحكم لبعد المسافة ما بين من القرعة ومن المشروع تعجب من موافقة اللجنة بإجماع عليه حققات الفقرة ٨٧ وإن نجاح هذا المشروع أو أى مشروع آخر يرمى إلى ترقية التعليم الأولي يتوقف على إزالة هذا العائق الذى يصرف الناس عن الاهتمام بالتعليم الأولي^(١)

(٤) من حيث أن المشروع يقضى باستيلاء وزارة المعارف تدريجيا مع الهيئات الإدارية التى تشاركها على ٨٠ في المائة على الأقل من أبناء المسلمين من سن ست سنوات إلى إحدى عشرة سنة فهو يقضى على المعاهد الدينية من أساسها لأن ينبوع المعاهد هو تلك المكاتب الأهلية التى تقوم بتعليم القرآن الكريم = الاشتغال بمهنة أخرى فلا فائدة منه لأن المنفرعين لا يلتفت إليهم بعد إعفائهم ولا تعرف الحكومة شيئا مما يربطونه من الأعمال . وقد قيل لنا إن الأحداث الذين يذهبون إلى هذه المكاتب لا تشي سوى حفظ القرآن وتجميع أوقاتهم بها إلى السادسة عشرة أو السابعة عشرة يربو عددهم كثيرا على من ينتظر أن يشتغلوا بشيء من الأعمال الدينية أو يلحقوا بأحد معاهدها على أن الأزهر الشريف ومدرسة القضاء الشرعى لا يشترطان على راعي الحق بها أن يحفظ القرآن الكريم أكثر من نفسه . وقد بلغنا أن حكومة تركيا وهى حكومة إسلامية لا تفي أحدا من الخدمة العسكرية لحفظ القرآن

(١) عنوان الفقرة ٨٧ (إزالة هذا العائق) وتمتها و الوافى بالفرض . وذلك يتم بأحد أمرين . إما بالسبر على النجج المرسوم فى مشروع القانون الذى ارتضاه صاحب الفضيلة مفتى الديار المصرية فى سنة ١٩٠٥ وإما باتباع طريقة أخرى تقرها هيئة رجال الدين الإسلامى . ونود لو وضعت الآن قاعدة عامة قضى بعدم إعفاء أحد بعد مضي زمن طويل من الآن (أى بعد سنة ١٩٣٠ مثلا) من الخدمة العسكرية لسبب من الأسباب (سواء كان دينيا أم صناعيا أم تعليميا أم غير ذلك) إلا إذا كان طالب الإعفاء قد أتم المقرر الدراسى للمدارس الأولية أو الابتدائية فإن ذلك يساعد نشر التعليم الأولي مساعدا عظيمة »

وحفظه ولا يمكن لقانون الأزهر والمعاهد الدينية أن يتخلى عن شرط حفظ القرآن لأنه شرط ضروري لمن ينسب للمعاهد الدينية ويتلقى علوم الدين التي تستمد كلها من القرآن كما يقضى ذلك المشروع أيضا على جميع الوظائف الشرعية التي يشترط في مبداها حفظ القرآن الكريم وما جاء في (الفقرة ٩٠)^(١) من تقرير لجنة الوزارة « أن من يرغب من النشأ في الانضمام في تلك المعاهد الدينية فليذهب متسع من الوقت بعد إتمام مقرر المدارس الأولية (أي بعد الستة الحادية عشرة إن فرض نجاحه فيها) للوصول إلى غرضهم هذا بالتعلم في مدارس إعدادية يشرف عليها رجال الدين » غير كاف في الإجابة ولا مدلل لذلك العقبة التي يضمها المشروع في سبيل المعاهد الدينية لوجوه

(أ) المدارس الإعدادية التي تخيل عليها لجنة الوزارة هي شيء لا في عالم الوجود ولا في عالم المشروعات فضلا عن كون تصميمها في جميع المدن والقرى حتى تقوم بحاجة البلاد من تخرج القدر الكافي لطلاب المعاهد الدينية ومن وجود الحفاظ بها أمر لا يكاد يكون ممكنا ولا يبلغ درجة انتشار المكاتب الأهلية الحالية التي تقوم بذلك الآن

(ب) إذا فرض أن التنفيذ القوي يريد الانضمام في سلك المعاهد الدينية لم يساعده الحظ ورسم في بعض امتحاناته السنوية بتلك المدارس الأولية ثم التحق بالمدارس الإعدادية المذكورة ليتمكن من الالتحاق بالمعاهد الدينية فكيف يكون قد بلغ من السن عند الخروج منها ؟ وهل يسمح له الحظ دائما من التمكن من تسليم الدراستين بالمدارس الأولية والمدارس الإعدادية قبل فوات السن المحدودة

(١) ونص الفقرة ٩٠ (المدارس الإعدادية) أما من يرغب من النشأ في الانضمام في سلك المعاهد الدينية أو في أن يكونوا من حملة القرآن الكريم فليذهب متسع من الوقت بعد إتمام مقرر المدارس الأولية للوصول إلى غرضهم هذا بالتعلم في مدارس إعدادية يشرف عليها رجال الدين . ونرى أن تمنح الحكومة ما يكون جامعا لشروط الجدارة من هذه المدارس إعانة مالية

الدخول في المعاهد الدينية أو بحال بينه وبينها، ثم إذا صح أنه تمكن من الدخول في المعاهد في آخر سنة يسوغ القانون الدخول فيها للطلاب والمعاهد الدينية أقل مدة التعليم فيها خمس عشرة سنة فلا ينتهي الطالب من دور التعليم إلا وهو في طريق الكهولة وهذا ما لا يرضاه رجال الإصلاح.

(ج) باعتبار أن آخر سنة لتعليم في هذه المدارس الأولية هي السنة الحادية عشرة من عمره إذا فرض نجاحه فيها وأنه يحتاج إلى مدة أخرى يقضها في حفظ القرآن ليتمكن من الانتظام في المعاهد الدينية يكون المشرع قد حاف حياظاً هراً على قانون المعاهد في تضييق دائرة من ينتسبون إليه بعد أن كانت من سن عشر سنوات إلى سبعة عشر سنة (مادة ٦١) من قانون الأزهر وحال بين الآباء وبين أعداد أبناءهم لتعلم في ما كورة شبابهم بالمعاهد الدينية وقد دل البيان الرسمي بدقائق الانقسام بالقسم الأول من المعاهد الدينية على أن الذين ينتسبون بالسنة الأولى يوجد بينهم عدد كبير من أبناء الإحدى عشرة سنة والاثني عشرة سنة (د) إن وجود الحرية التامة التي يتمتع بها الآباء الآن في تعليم أبنائهم القرآن الكريم في هذه السن (من سنة إلى إحدى عشرة) هو الوسيلة الوحيدة في التمهيد للانتظام بالمعاهد الدينية وبمباراة أخرى لحياة المعاهد الدينية والوسيلة في صيانة حفظ القرآن بين الأمة لأن الحفظ بعد هذه السن يكاد يكون مستحيلاً والمثل الشهير في ذلك عند الشعب (الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر)

(هـ) إن وجود حملة القرآن الكريم مستظهِرين له أمر ضروري اقتضته الشريعة القراء على سبيل فرض الكفاية في كل أمة لاسيما في مصر (التي تعتبر لمركزها الديني ووجود الأزهر فيها كعبة لساثر الشعوب الإسلامية) ليقوموا بعملية كيفة الأداء والتجويد للقرآن واتقان رواياته وأحكامه ومعرفة رسمه ول يحفظوه على الأمة وينقلوه طريق التواتر من جيل إلى جيل.

فضلا عن أن من خصائص أولئك الحفاظ أيضا ما جرت به العادة في منتهيات المسلمين ومجتمعاتهم العامة وانخاصة من ثلاثة آيات الكتاب الحكيم عند اقتضاء الظروف والمعادن القومية ليعظوا النفوس يذكرها الأمة بكتابها المقدس الكريم

ومافيه من هدى وإرشاد وحث على مكارم الأخلاق ولا يتأنى للأمة المصرية القيام بالفرصة المذكورة والحفاظة على تلك المادة القومية الاسلامية ما لم يبق الوسيلة التي تمكن الأبناء من حفظ القرآن في أول تعليمهم وبعدهم مروتهم .

(٦) توجد بالنظر المصري أوقاف جمة مرصودة على تعليم القرآن الكريم للأطفال بطريق الحفظ له غيبيا (وتفتيش الوادى مشهور) وتغضى أوامر الشريعة الفراء باحترام شروط الواقفين حتى قال العلماء «شروط الواقف كنه الشارع» فلا بد من تنفيذ هذه الأوقاف على الوجه المنصوص بهاء ولا يجوز بحال أن يصرف ريع تلك الأوقاف في غير هذا النوع من التعليم ، والمشروع باستيلائه على ٨٠ في المائة من النزين يقضى شتميل تلك الأوقاف وصرفها في غير مارصدة له ومعبارة أخرى يقضى شتميل أوامر الشريعة الفراء في تنفيذ هذه الأوقاف في سبيلهم ، بل يصرف الناس عن مثل هذا العمل البار (الوقف على التعلم) الذى قام بنهضة كبرى في سبيل التعليم الأولى بمصر وقد اعترفت لجنة الوزارة (المقرة ٢٥) ^(١) أن أقوى

(١) عنوان المقرة ٢٥ «الحكومة وتعليم الأطفال» ونصها : من الأقوال المأثورة عن نابليون «إن التعليم يجب أن يكون أول اغراض الحكومة» ولقد أصبح معظم الحكومات المتدنية في الوقت الحاضر يتبر تعليم الأطفال من أعظم واجباته وقد وصل تعليم طبقات الشعب في البلاد الأوربية إلى ما هو عليه الآن بفضل أربع حركات كبيرة وهى :

(أولا) غيرة الطوائف الدينية على نشر مذاهبها وتوطيد أركانها بتعليم الأحداث (ثانيا) قيام مذهب الانسانيين (Humanitarianism) الذى يرمى إلى وقاية الأحداث من المبال .

(ثالثا) قيام الديمقراطية لآها خولت جما غفيرا من الشعب «حق الاشتراك في أعمال الحكومة» فتستدعى ذلك تعليم الأطفال لأن منهم ينفع كبار أعضاء مجالس النواب (رابعا) الحركة الصناعية فأنها أتمت الأمم بأن انتشار التعليم بين جميع الطبقات - ولو اقتصر على ما يتناول به التعليم الأولى - يزيد في مقدرة العمال

وقد كان أقوى البواعث على تعليم الشعب بمصر إلى وقتنا هذا على الخط الحالى بواعث دينية ولكن تقدم البلاد من الوجهات الصناعية والسياسية والادبية والاجتماعية سيوجد بواعث قوية جديدة يزيد عظم شأنها على مر الأيام، ولا يمكن غرض الطرف عنها ولا التسويف فيها توحى به من الجهد والعمل .

البواعث على تعليم الشعب المصرى إلى وقتنا هى البواعث الدينية وإذن يحسن بالمشروع المذكور أن يكون أساسه الذى يستند به هى تلك البواعث ليكون أنجع له فى سبيله لأن يقاومها ويقضى عليها : وترى اللجنة أن ايجاب حفظ القرآن الكريم فى تلك المدارس وجعله أساسا فيها (نظراً لشدة تماق الشعب المصرى بعبادته الدينية) هو أقرب وسيلة لترغيب الأمة فى تلك المدارس لتقى استعاضة الحكومة فى الترغيب فيها الصعوبات الجمة (ينظر)

خلاصة معاهدة الصلح

الفصل الثانى عشر — فى الموصلات

الموانى وطوق الملاحة وسكك الحديد — يطلب من المانية أن تتيح حرية الانتقال والنقل للأشخاص والبضائع والسفن ومراكب سكك الحديد الخ التى تأتى من بلاد الخلفاء والدول المشتركة معهم أو تذهب إليها مارة بأرض المانية وأن تعاملها كما لو كانت ألمانية صرفة والبضائع التى تمر بالمانية (ترانسيت) تفى من الرسوم الجمركية ، وتكون أجرة النقل معتدلة ولا تتوقف على تسهيلات أو دفع رسوم ماعلى نوع الراية التى تخفق على السفن سواء كان ذلك مباشرة أو بواسطة . ووضعت تدابير تمنع التمييز بين دولة وأخرى بمراقبة البضائع المفقولة وكل تمييز ممنوع على الاحلاق ويجعل فى نقل البضائع الدولية وخصوصا ما كان منها قابل التلف ويحافظ على المناطق الحرة فى الموانى الألمانية وتقدم التسهيلات اللازمة لمطالب التجارة بلاثمير فى الجنسية . ولكن يسمح بفرض رسوم معينة قليلة فى موانى نهر الإلب الحرة . وتحسب جميع الأنهر من مفر نهر فلندا وملتقى نهرى مولد وقلنافا تحت براغ نهر لاودر من ملتقاء نهر الادوا ونهر النيسن تحت جرودنو والدانوب تحت الم — هذه كلها تحسب أنهرأ دولية هى وروافدها الواقعة ضمن هذه المنطقة ، وتعامل أملاك جميع الدول وأعلامها مثل معاملة رهايا البلاد الواقعة على ضفاف تلك الأنهر وأملاكها

وسائر ما يخصها . وقد اتخذت تدابير مختلفة لتأمين التسهيلات ودفع أجور مستدة والملاحة بأشراف جمعية الأمم واللجان الدولية وهذه اللجان تمقضى مستقبل قريب لوضع مشروعات بفتح المعاهدات الحاضرة التي يراد بقاؤها نافذة المفعول وقتها . و يطلب من المانية أن تلم جزءاً من صفها النهرية ورفاقاتها والمهمات الأخرى بعد ثلاثة أشهر من إعلانها بذلك

أما من جهة الدانوب فإن اللجنة القديمة تعاد إليها السلطة التي كانت لها قبل الحرب ولكن لا يمثل فيها إلا بريطانية المظلي وفرنسة وإيطالية ورومانية . وأما المنطقة الخارجة عن اختصاص اللجنة فتعين لها لجنة دولية لإدارة أمور الدانوب الأعلى كله إلى أن يتوصل إلى تسوية المسائل تسوية نهائية . ونص على حفر قنال بين الدانوب والرين إذا قرر الرأي على صهرها في مدة ٢٥ سنة . ووضعت مواد خاصة بنهرى الرين والموزل ونقب معاهدة ١٨٦٨ دودة المفعول اجمالاً مع بعض تعديلات مهمة . ويكون مقر اللجنة المركزية سترا سبرج وتبين فرنسة رئيسها . ولما كانت هولندية من جملة الدول الموقعة لهذه المعاهدة فإن التعديلات المشار إليها تعرض عليها وتسلم ألمانية إلى فرنسة بعد ثلاثة أشهر جزءاً من نفقات موانئ الرين وسفنها وأسهام من أسهم شركات الملاحة فيه وكذلك جزءاً من الأبنية والرفاقات وما أشبه ذلك مما كان لللمان في ميناء روتردام في ١ أغسطس سنة ١٩١٤ أو أسهم من أسهم شركاتها فيه ، ويكون لفرنسة الحق التام على حدودها في استخدام ماء الرين للترع وما شاكل ذلك وحمل الأعمال اللازمة لاستخدام مائه في إدارة حركة الآلات بشرط أن تدفع مالا معيناً بشرط موافقة اللجنة وتنكمل ألمانية بأن لا تخف ترعاً على ضفة النهر اليمنى المناوئة للحدود الفرنسية وبأن تمنح فرنسة بعض الامتيازات على ضفته اليمنى لبناء بعض المباني الهندسية مقابل دفع تموين ، ويجوز لسويسرة مثل هذا في أعلى النهر . وإذا استقر رأي البلجيك في خلال ٢٥ سنة على حفر ترعة بين الرين والموزل وجب على الحكومة الألمانية أن تحفر ما وقع منها في أرضها طبقاً للتصميمات التي تضعها الحكومة البلجيكية وتوزع الحق على الحكومات المختلفة المختصة . ولا يجوز لألمانية أن تمارض اللجنة بما إذا كانت أن توسع دائرة اختصاصها بحيث تشمل نهر الموزل الأسفل بموافقة حكومة

لكمبرج والرين الأعلى بموافقة حكومة سويسرة والقرع الجانية التي يراد حفرها لتحسين الملاحة . ويجب على الحكومة الألمانية أن تؤجر جمهورية التشيك والسلوفاك مدة ٩٩ سنة أماكن ومباني كمبرج وستين تكون مناطق حرة سكك الحديد - نصت المواد الخاصة بسكك الحديد على أن البضائع التي ترسل بين بلدان الحلفاء وألمانيا أو بطريق ألمانيا لها الحق في أعظم المزايا ونجحت في بعض رسوم سكك الحديد فقالت إنه إذا وضع اتفاق جديد لسكك الحديد بدلا من اتفاق برن المعمود سنة ١٨٩٠ وجب على ألمانيا أن تعمل به وقبل وضعه تعمل باتفاق برن . وتشترك في تسير قطارات الركاب والبضائع بين بلاد الحلفاء بطريقها وبشروط موافقة وتسير قطارات المهاجرين أيضا ونجحت مركبات سكك الحديد بالآلات تمكنها من الاندماج في قطارات البضائع التي للحلفاء من غير تغيير نظام السبسات ويعمل الحلفاء مثلها . ونصت أيضا على تسليم أنظمة الخطوط في الأراضي المنتقلة وتسليم مقدار معتدل من المركبات لاستعمالها فيها ويعهد إلى الحلفاء خاصة في تشغيل الخطوط التي تصل ما بين تسير من بلاد واحدة وتجتزى طريقها بلاداً أخرى أو الخطوط الفرعية التي تمر من بلاد إلى أخرى ، إذا لم تكن هناك اتفاقات خاصة فعلى ألمانيا أن تسمح بمد مثل هذه الخطوط أو إصلاحها حسب الاقتضاء لتكون هناك خطوط منتظمة بين كل بلد من بلاد الحلفاء والآخر هذا إذا طلب ذلك منها في خلال ٢٥ سنة بموافقة جمعية الأمم والهدول المتحالفة تدفع النفقات توافق ألمانيا بطلب حكومة سويسرة والحكومة الإيطالية على نقض معاهدة ١٩٠٩ الخاصة بطريق نفق سان غور . ويوضع بدلا منها اتفاق وقى تنفذ ألمانيا بموجبها تعليمات تصدر باسم الحلفاء من حيث نقل الجنود والمهمات والذخيرة وما أشبه ذلك ونقل المؤن إلى بعض الجهات وإعادة وسائل النقل المادية وخطوط البوسطة والتلغراف توافق ألمانيا على الانتظام في كل اتفاق عام يعقد على أمور النقل وطرق الملاحة والموانئ وسكك الحديد الدولية بموافقة جمعية الأمم في مدة خمس سنوات من عقده . ويسهر في تسوية كل خلاف إلى جمعية الأمم . أما بعض المواد الخاصة بالمواد التي تنص على المعاملة المتساوية في مسائل مرور البضائع وغلبها فهي عرضة

لتنقيح جمعية الأمم لها في خلال خمس سنوات . وإذا لم تنجح فأنما تنفذ على كل دولة من الدول المتحالفة التي تسمح بمعاملة متبادلة

قنال كبال - تكون قنال كبال حرة ومفتوحة أمام البواخر والبواخر التي لجميع الأمم إذا كانت في حالة سلم مع ألمانيا وتعامل رعابا جميع البلدان وبضائعها وسفنها بالمساواة من حيث استخدام القنال ولا تؤخذ رسوم ما إلا الرسوم اللازمة لحفظ القنال وإصلاحها ويهد في هذا إلى ألمانيا وإذا نقصت هذه الشروط أو جرى خلاف عليها فللدول المختصة أن ترفع المسئلة إلى جمعية الأمم وتطلب تعيين لجنة مختلطة

الفصل الثالث عشر - في العمل والعمل

الاتفاق الخاص بالعمل والعمل - ينص هذا الاتفاق (أولا) على عقد مؤتمر دولي كل سنة لمرضى إصلاحات في أمر العمل والعمل توافق عليها الدول التي تتألف جمعية الأمم منها (ثانيا) على إنشاء هيئة إدارية تنفيذية تقدم كرات للمؤتمر وإنشاء مكتب دولي للعمل لجمع المعلومات والتقرير وتوزيعها ويكون رئيس هذا المكتب مستولا أمام الهيئة الإدارية و (ثالثا) على أن يكون المؤتمر السنوي مؤلفا من أربعة مندوبين من كل حكومة اثنين عن الحكومة نفسها وواحد عن أرباب الأعمال وواحد عن العمال ولكل مندوب أن يعطى صوته مستقلا والمؤتمر أن يوافق بأكثرية ثلثي أعضائه على الاقتراحات أو صور الاتفاقات الخاصة بمسائل العمل والعمل وعلى تمت الموافقة عليها تمررها الحكومات صاحبة الشأن على الدوائر المختصة لسن قوانين بها أو ما أشبه ذلك فإذا وافقت عليها هذه الدوائر المختصة وجب على الحكومات صاحبة الشأن أن توفرها وتنفذها فإذا أهملت حكومة من الحكومات هذه الواجبات فللهيئة الإدارية المذكورة أن تعين لجنة تحقيق تحكم بما ترى ولجمعية الأمم أن تتخذ تدابير اقتصادية ضد الدولة المخالفة . و (رابعا) على اتخاذ تدابير خاصة لمنع كل خلاف يقع مع دستور الولايات المتحدة أو غيرها من الدول التي في حكمها . و (خامسا) على البلاد التي هوائها وأحوالها الصناعية المتأخرة وغير ذلك من أحوالها الخاصة تجعل أحوال العمل والعمل فيها مختلفة اختلافا جوهريا عن أحوال غيرها . وعلى المؤتمر في أحوال مثل هذه أن يراعي هذا الاختلاف عند وضع أي معاهدة وقد ألحق بهذا

الاتفاق بروتوكول بأن يعقد الاجتماع الأول في واشنطن في السنة الجارية ويتمين لجنة دولية لهذا الغرض . وفيه أيضا جدول البحث في موضوعات الاجتماع الأول ومن جعلها مبدأ جعل ساعات العمل ثمانيا في اليوم ومساواة العمال المتأهلين واستخدام النساء والأولاد في الصناعات الخطرة خصوصا

والحق بالجزء الخاص باتفاق العمال عهداً من الدول الموقعة على هذه المعاهدة بشأن تنظيم أحوال العمل ومبادئه التي يجب على جميع البلدان الصناعية أن تسي في تطبيقها عليها بقدر ما تسمح به ظروفها الخاصة بها . وبين هذه : أن لا يحسب العمال مجرد سلعة . حيث أن أصحاب الأعمال والعمال في الاتحاد على كل عمل مشروع أن يدفع إلى العمال أجور توافق أحوال المعيشة في زمانهم ومكانهم . جعل ساعات العمل ثمانيا في اليوم أو ثمانيا وأربعين في الأسبوع حيث لا يعمل بذلك حتى الآن . جعل ساعات الراحة في الأسبوع أرسا و عشرين على الأقل وفي جعلها الأحد حيث يمكن ذلك . إلغاء تشغيل الأولاد وحصر تشغيل الأحداث بحيث يسمح لهم بالاستمرار على المدرس والرياضة اللازمة . جعل أحرار الرجال والنساء متساوية حيث العمل متساو . أن يراعى في شروط العمل القانونية في كل بلاد معاملة جميع العمال الذين فيها معاملة اقتصادية عادلة . أن تضع كل بلاد نظاما لتفتيش يقصد به حماية العمال وتشترك فيه النساء

الفصل الرابع عشر - الضمانات

غرب أوربة - ضمانا لتنفيذ المعاهدة تحتل جنود الحلفاء والدول المشاركة لهم البلاد الألمانية الواقعة غربي نهر الرين ورؤس الكيباري مدة خمس عشرة سنة . فإذا نفذت ألمانيا شروط الصلح تصدق وإخلاص أنجملت جنود الحلفاء من بعض الليقاع وفي جعلها رأس الكبرى القى عند كولونيا بعد مضي خمس سنوات . تتجلى عن قاع أخرى ومن ضمنها رأس الكبرى في كلبتر بعد عشر سنوات وعن الباقي وفي جعله رأس الكبرى عند ماينر بعد ١٥ سنة وإذا رأت لجنة التمييز الدولية أن ألمانيا قصرت في إنجاز عهودها كلها أو بعضها مدة الاحتلال أو بعد مضي الخمس

عشر سنة عادت جنود الحلفاء فاحتلت حالاتك البقاع كلها أو بعضها . وإذا
أنجزت ألمانيا جميع عهودها الخاصة بالمعاهدة الحالية قبل مضي الخمس عشرة سنة
فإن الجنود المحتلة تجلو عن أرضها حالا .

شرق أوروبا - وكذلك تعود جميع الجنود الألمانية الموجودة الآن شرق
الحدود الجديدة حالما يرى الحلفاء أن الساعة ملائمة لذلك . ويجب عليها أن تمنح
من كل مصادرة وما أشبهها وأن لا تعرض لتدبير من التدابير الدفاعية التي
تتخذها الحكومات الوقتية المحتصة

احتلال الأراضي . كل مسألة خاصة باحتلال الأراضي لا تنص عليها هذه
المعاهدة تسوى بموجب معاهدات تصفها بعد ويكون لها فصول هذه المعاهدة وتأثيرها

الفصل الخامس عشر - شقي

شقي - تمثروا ألمانيا بصحة معاهدة الصلح والانفاقات الإضافية التي
تقدمها دول الحلفاء والدول المشتركة معها مع الدول حليفات ألمانيا وتوافق على
القرارات الخاصة بأراضي النمسا والمجر وبلمباريا وتركيا وتعترف بالدول الجديدة
ضمن الحلفاء التي تعينها الدول الموقفة على هذه المعاهدة

وتوافق الدول على أن رؤساء القجان يكون صوتهم بعض الأحيان فضلا
المسائل التي تتساوى الأصوات فيها . أما أعمال المرسلين الألمان في الأراضي التي
سنتقل إلى أيدي الحلفاء فتستمر تحت إشراف أمناء تعيينهم الدول التي تنتقل تلك
الأراضي إليها . وهناك مادة تمنع ألمانيا فيها بأن لا تطالب دولة من دول الحلفاء
الموقفة لهذه المعاهدة بمال بناء على حوادث سبقت العمل بهذه المعاهدة وتقبل جميع
لأحكام التي تصدرها محاكم القضاء التي للحلفاء بشأن السفن أو البضائع الألمانية
أو يحتفظ الحلفاء لأنفسهم حق النظر في الأحكام التي أصدرتها محاكم القضاء الألمانية
وقد حررت هذه المعاهدة بالفرنسية والانكليزية وسيصادق عليها وتودع

في باريس بأسرع ما يمكن ؟ وإلى ذلك نصوص مختلفة بشأن المصادقة

يسرى مفعول هذه المعاهدة على كل دولة من تاريخ مصادقتها عليها

انتهت معاهدة (فرساي)

الرحلة السورية الثانية

تمهيد

هاجر صاحب هذه المجلة من الديار السورية إلى الديار المصرية في شهر رجب سنة ١٣١٥ عقب انتهائه من طلب العلم في طرابلس الشام وأخذ شهادة التدريس (المالية) لأجل القيام بعمل إصلاحي للإسلام والشرق، لا مجال له في بلد إسلامي عربي غير مصر، والاستعانة عليه بصحبة الأستاذ الإمام (الشيخ محمد عبده) والافتباس من علمه وحكمته، والوقوف على نتائج اختباره وسياحته، وعمله مع حكيم الشرق وموقفه من رفقته (السيد جمال الدين الأفغاني) قدس الله أرواحهم. وكنت قبل ذلك أمتنى غنى بالالتحاق بالسيد الحكيم وزايله، ومرافقته في ترحاله ومقامه، فلما توفاه الله تعالى إليه نصبت على رداء الغنى والتواني، وقلت أين فأنى لقاء المعلم الأول فلن يوفنى لقاء الثانى^(١) وأنشأت (المعارف) في أواخر تلك السنة ولم أكن أنوى أن أشتغل بالسياسة ولا بالإصلاح من طريقها بل بالإصلاح العكسي والنفسى والاجتماعي، ولكن السياسة السوءى عدوة الإصلاح ترى مقامها مفقده. وحياتها مومنة، معنى لا تترك القائم به إذا هو تركها وقد كان دعائى عبد القادر أفندي القفاني صاحب جريدة (تمحات الفنون) - إذ كانت في بيروت مدعى على السفر إلى مصر وإنشاء صحيفة إصلاحية فيها - إلى رياضة التحرير بل يدنه فقلت له ليس في البلاد حرية تمكنني من ذلك. قال أترك الطعن في السلطان واكتب في الأخلاق والآداب ما تشاء فلا نجد ما ساء ولا معارضا، قلت أرأيت إذا بحثت في الكذب الذى هو شر الشرور على الإطلاق وبينت أن أكبر أسباب فشوه وانتشاره هو الاستبداد المانع من قول الصدق، والمناقب على التزام الحق، أيمكنني أن أنشر هنا في الجريدة وأكون آمنا من عقاب الحكومة؟ قال كلا إن أمثال هذه المباحث

(١) أطلق لقب المعلم الأول عند المشتغلين بالحكمة العربية اليونانية على الحكيم أرسطو، والمعلم الثانى على الرئيس ابن سينا.

لا يمكن نشرها في غير مضر ، فنجل بالسفر ولا تخبر بمرمك أخذا لتلا يصل الظير
إلى الوالى فيمنعك منه

صادرت حكومة سورية العدد الثانى من المار بعد توزيعه ، ولقد فيها عنوانها
(القول الفصل فى سعادة الأمة) ليس فيها ذكر لحكومتها ولا لغيرها من الحكومات
يسوء ، ثم صدرت بإرادة السلطان عبد الحميد يمنع المار من دخول مملكته فى الشهر
السادس من عمره . وتلا ذلك اضطهاد والدى وإخوتى لأجل بعدخية سعى السياسة
لاخراجى من مصر وعرض ما أحب من المناصب والوظائف العلمية وغيرها فى
ديار الشام أو غيرها ، وذلك حرمت من زيارة وطنى إلى أن أعلن الدستور سنة
١٣٢٧ فزرتة عقب إعلانه إذ كانت البلاد ترقص به طربا والناس يحتفلون فيها
لاظهار سرورهم بالخطب والأناشيد ، ويحتفون بمن يعود اليهم من المهاجرين
المجاهدين ، والأحرار المنفيين وأشباه المدين ، ويتحاورون ويتناجون بمايجول فى
خوابطهم من الآمال والآمل ، وما يرجون من كابر الأعمال ، ويقصدون جمعية
الاتحاد والترقى ويطرون من عرفوا أحماءهم من زعمائها ، ويسكرون كل من لقوا
من أعضائها .

قد علم قراء المار فى ذلك العهد أننى كنت يعلن الدستور مسرورا لامفرورا
وراجيا خائفا ، لاراجيا متمنيا ، ولكننى رأيت الناس فى البلاد العثمانية سكارى
من تأثير ذلك الانقلاب ، أكثرهم يحسب أن البلاد سعدت سعادة لاشقاء بمدىها .
وأقلهم منزعج ممتعض لما فاته من المال والجاء فى ظل الحكومة الجديدة وهم أعوان
تلك الحكومة وجواسيسها وقد أشرت إلى أساليب خوفى وشاراته فى أول مقالة كتبتها
فى الترحيب بالانقلاب وأهمها توقع استبداد رجال الثورة من الاتحاديين وقيامهم
بالمصيبة الجنسية ودعى « الحاكبة التركية » والفلا فى الحرية .

لذلك كانت نصيحتى لأهل بلادى السورية التى أبتها فى الأبدية والسمار
وأودعها أكثر الخطب السياسية والأدبية هى تكديرهم بما يجب من العناية بالعلم
واللغة العربية والتهذيب النعوى ليكونوا أحياء أعزاء بأنفسهم ، وعضوا رئيسيا فى بنية
دولتهم ، وقد رجوت أن أجد ثلة من الشبان المفكرين ، والكهول المحنكين ، أولى

حزينة وشكية ، وأخلاق قوية ، ينهضون بفلك متعاونين فلم أجده عند أحد أملاً في العمل للامة من طريق الامة ، بل وجهت الاعتناق كلها متلعة الى الحكومة ، والآمال كلها موجهة اليها ومحصورة فيها ، فحزنت حزناً شديداً ونهبت الجمهور الى غرورهم بالحرية الموهومة والسعادة التي يتمنونها من اعلان الدستور في مجالس كثيرة كان أوضاعها وأظهيرها خطبة أقيمتها في نادى الجمعية الثمانية في بيروت في احتفال كبير دعيت إليه عرضت فيها بثلث الاحتفالات العظيمة بالحرية وشبهتهم فيها بعاشق أم عمرو اذ عام صبا بهما وهو لم يرهما ، ولا شاهد شيئاً من محاسنها ، وإنما سمع رجلاً ينشد في الطريق يا أم عمرو جزاك الله مكرمة ردى على قوادى أينما كانا

فاستببط من هذا البيت ان أم عمرو أجل النساء وأجدرهن بأن تشفق فشفاهن ثم لم يلبث أن أخذ من الحزن والحزج لمرافقها ، بقدر ما أصابه من الشغل والعصاة بها ، لبيت آخر من الشعر سمعه من رجل آخر ، اذ في الطريق قاسته ، طأ أنها ماتت وهر

لقد ذهب الحارث أم عمرو فلا رحمت ولا رجع الحارث

هكذا مررت بأولئك الجماهير انى أحس أن تكونوا رقصهم طرباً وهم سرورا بحرية منخبة موهومة ، وأن ينهى الأمر بياسكم منها ومكاتمكم عليها قبل أن تروها ، وتتمنعوا بما ترجون من السعادة بها . وهكذا كان وقوع ما كان صدى ولم يكن عند الجمهور في الحسبان ، ولم يحل الحول على تلك الحرية الاتحادية وتقديس جميع الشعوب الثمانية لرجال جمعية الاتحاد والترقي حتى نجم في الجمعية قرناً الاستبداد والعصبة التركية ، فنطعت بهما الحرية والدستور وآمال الشعوب الثمانية فيهما حتى قضت عليهما فلم يبق لها في البلاد الثمانية عين ولا أثر ، وما انقطعت آمال هذه الشعوب من الدولة التي دانوا لسلطاتها عدة قرون الا وتجددت لهم آمال أخرى في حياة الاستقلال القوي بل صاروا يفضلون الزوال على انخوع لاستبداد هذه الجمعية المفروقة المشهورة المنكبدة

كانت الدولة الثمانية في القرون الاخيرة ، التي قويت فيها دول أوربى واعتزت ، وتواطأت على استعباد الشعوب الآسيوية والأفريقية ، هي الدولة الإسلامية الوحيدة المتعرف لها الحقوق الدولية سهم ، فذلك كان حرص المسلمين على بقائها وأعلى

شأنها عظيما جدا ، وكان تعلق الشعوب الاسلامية بها أكبر قوة لها في نظر دول أوروبا بما كانت تنقى ايقاظ شعورهم السياسي بما يوجبهم اليهم من الوحدة والاستقلال . ولم تكن لهذه الدولة هذه القيمة إلا بكون بلاد العرب التي هي مهد الاسلام وموطن نشأته الدينية والمدنية عجزا طبيعائها ، ولكن الاتحاديين المستكبرين احتقروا العرب وبلادهم وديهم فلم يرفعوا فيهم إلا ولا فنة ، ولا دين ولا حرمة فاضطهدوهم وأذلهم ، وحاولوا ابطال لغتهم التي هي لغة كتاب الله ودينه استمناه عنها ومحاوله لتسخنها باللغة التي جعلوها لغة « حاكبيهم الملية » وجعل بلادهم انحصبة كسورية والمراق تركية محصنة وجزيرتهم مستعمرة فترك ينصرفون فيها تصرف المالك في عقاره ، والسيد في عبيده وإمائته

فلما رأيت بواد هذه السياسة الاتحادية السوءى رحلت الى الآستانة دار الملك صاعيا لثلاثي خطرهما ، وإيقاف ما كاد يستشري من ضررها ، قبل أن يتسع الخرق على الراقع . فكثت في دار الملك سنة كاملة ، فطلع طلع القوم بمحاورة زعمائهم ووزرائهم ، وذاكرة علمائهم وعقلائهم ، وما عدت من تلك العاصمة الا وأنا موقن بأن هذه الجمعية ستقصي على هذه الدولة ، وأن اضطهادها بسلطة الحكومة لعرب سبيد اليهم عصبيتهم الجنسية التي فقدوها في بلاد حضارتهم كسورية والمراق ، ونعولت على السعي لجمال القاعدة التي برقع عليها بناء النهضة العربية هي العلم والنزوة والوحدة حتى لا تتوقف حياتهم على حياة هذه الدولة ولا يجوز ان يكونوا مع الحفر من ان يكونوا باختيارهم سبيان أسباب سقوطها ، والاجتهاد في موالاته الشعب التركي والتعاون معه على مكافحة النزعات الالحادية والنزعات القبلية ، وقد أسس في أثناء إقامتنا في الآستانة (المنتدى الادبي) لجمع كلمة شبان العرب المستغنيين بتلقى العلوم والفنون في مدارسها والتعاون على طلب العلم والتعارف والتألف في سبيل الارتقاء

بعد المودة من الآستانة بأشهر رحلت الى (الهند) فسقطت في الكويت فالبصرة فبغداد فسورية ، وانفق بعد وصولي الى سورية أن ظفر حزب الحرية والائتلاف في الآستانة بحزب جمعية الاتحاد والترقي في مجلس المبعوثين وما كان الفلج لهذا الحزب

الا بتألفه من أحرار العرب ومنصفى الترك وكاننا حزينين فالتحدوا صاروا حزبا واحدا
فرايت السواد الأعظم من السوريين فرحين مقبطين بخذلان الاتحاديين بقدر
ما رأيت قبل ثلاث سنين من اغتباطهم بهم واقتدارهم بالانتماء إليهم واتسى الأكتزون
منهم إلى الائتلافين خصوصهم ، وخفت أصوات من بقى من أتباعهم فكان
الآلاف من الناس يجتمعون في الأندية والمحافل يتبارزون في إلقاء الخطب والقصاصات
في العطن فيهم والتشفي منهم ، بعد أن كانت تلقى في الفخر بهم والثناء عليهم ،
وانتفاء الزلفى عندهم والوسيلة إليهم

ثم أديل لهم من حصومهم الائتلافيين في عاصمة الملك فتكلموا بهم فيها نمر
تنكيل ولم ينج من زعماء هؤلاء الخصوم إلا من فرمتكرا إلى أدرية أو مصر (ومنهم
أمير الألاى صادق بك والأستاذ حسن صبرى أقدى ورشيد بك فظفر الداخلية)
وكان ذلك كله في أثناء حرب البلقان التي انكسرت فيها الدولة العثمانية حتى كادت
دولة البلغار الجديدة تأخذ القسطنطينية منها عنوة ، ولولا ما أصاب الدولة منها من
الضعف والوهن وما كان في أثناءها من سحب قواها العسكرية من الولايات العربية
لا انتقم الاتحاديون ممن أظهروا لهم العداوة في البلاد العربية ولا صبا الذين ألغوا
الجمعية الوطنية كما انتقموا من أعدائهم في العاصمة ، ولكنهم لضعفهم أسروا
السكيد ، وكظموا الغيظ والظن ، وأظهروا الميل إلى الإصلاح والجنوح إلى الصلح
وكان من أمرهم في إبان انعقاد المؤتمر السوري في باريس ما هو معروف ، وفي استقالة
طالب بك النقيب بعد محاربة اغتياله أن توسلوا به إلى الاتفاق بينهم وبين الأمير
ابن سعود

وقبل الانتهاء من تمثيل دور الاتفاق بينهم وبين ممثلى الحركة السياسية من
العرب في العاصمة (وفي مقدمتهم أصدق أخلصنا وأشعري سياستنا السيد الزهراوى
وباقية شياننا عبدالكريم الخليلي) اشتعلت نار الحرب الأوربية الكبرى ولم يلبثوا
أن أصلوا الدولة العثمانية سميرها ، وأحرقوها بشرر وردها ، وفي أثناءها اخناروا القيادة
فيلقى سورية (منبت النهضة العربية) أشد زعمائهم قسوة وأغلظ قوادهم قلبا واضرام

بسفك الدماء أحمد جمال باشا الذي نكل بخصومهم الاثنتين في العاصمة ذلك التشكيل الفظيع، ومنحوه السلطة المطلقة فذبح أهل البلاد أولاً بإظهار الميل إلى العرب والرغبة في مساعدة النهضة العربية، وجعلها عوناً وظهيراً للنهضة التركية، تأييداً لما يضمها من الجاسمة الإسلامية، وما زال يقتل منهم في القدوة والقارب، إلى أن عرف أصحاب الأفكار المدبرة، والفصاحة المؤثرة، وأولى المبادئ الثابتة، والعرازم الصادقة، ثم مادهم في المخادعة إلى أن جمع الجيوش من البلاد وقذف ببعضها جيوش الروسية في حدودها الزهريرية، وألقى بالبعض الآخر في أتون ملحمة الدردنيل الكبرى، ومكن نفسه في البلاد — بعد هذا كله بعش تلك البعثة الكبرى تقنياً وتصلبياً للأفراد النابضين، وتشرىداً وتغريباً للأسر والبيوتات وللأغنياء والوجهاء، ولذا ذلك نكبة الخمسة المجتاحة، في إثراء المصادرات الكثيرة للأموال الباطنة والعامة، حتى أكل الناس الأقدار والجيف بل أكلت الأمهات أولادها، وهو يرى ويسمع، ويسمع ويستمع ويفسق ويفجر، ويسهى ويأمر، وفعل أقاربه وأقربائه في العراق فحوا بما فعل في سورية، فأياضوا الأمة العربية من الدولة العثمانية، واضطروها إلى إعلان الثورة في البلاد الحجازية، فكانت من أسباب تقلبها من ظلمها عن رده وسهم، وزوال سلطانها من بلادهم، ولكنه سبب اضطرابي، لا مقصد احتياري، وإنما كان القصد حياة العرب بالحري والاستقلال، لا إمامة الترك بأيديهم، ولا إمامة أنفسهم تحت أرجلهم، ولا مجال في هد التمهيد للإشارة إلى شيء من وصف هذه الثورة ولا بيان ما عرفنا منها وما أنكرناه، وإنما نختمه بأن الحرب العامة انتهت باحتلال جيش الثورة مع جيوش الحلفاء للبلاد السورية، وبعد مرور بضعة أشهر على استقرار الاحتلال، وتبدل الأحوال، ويسرت لنا الرحلة الثانية إلى هذه البلاد، وسنبين ما نرى فيه الفائدة والعبرة مما رأينا وصممنا فيها، وموعدها الأجزاء الآتية من المنار.

سورية بعد التحرير

لا تدعوا إلى الفتنة فإن أسرع الناس
إلى القتال أقلهم حياء من الفرار

الضعف به قيس

أذكرى أوار هذه الحرب الضروس قوم ظنوا أن لهم بها جر مغرم ، وأضرمت
نارها أنوار دُعوا إليها دها مؤلمين دفع مغرم ، وساعد فيها شعب آخر ليمح
انقراض المآثم ، وبحول دون فناء العالم ، خدمة للإنسانية التي تتألم دارت رخاها خمس
دورات ، وجرت جيادها خمسة أشراط ، وقطب رحاها ثابت وقصب السبق أحرز
— أو كاد — فوضعت السداجة الأشعرية مبدىة لاختلاف ثورتها ، واسكان براكينها
رحمة بالإنسانية ، فانقادت الفضيلة الشخصية لتلك المبادئ السامية فاعلمى المغير
عن أراض احتلها ، سلم الصب صبي التي كان قد أحكم ساءها . وطن أن فجر سعادة
الإنسانية قد تنفس ، وأن قد تأسرت الأمم والشعوب في الواجبات والحقوق ،
وانتشر لواء الحرية وطوى علم الاستعباد . ماذا جرى بعد أن وضعت الحرب أوزارها ؟
تناول ذلك الدهاء العبري تلك المبادئ لحوها عن وضعها بالتأويل والتعريف
استغاض منها ماهدة للصالح كانت غلة لجميع الحروب المستتفة ، من تلك المعاهدة
وستكون سبب حروب المستقبل وخراب العالم ^(١) فإذا كانت مبادئه ولسن محكمة
عادلة فإن المعاهدة مخشنة جائرة . جاس قوم خلال ديار قوم آخرين فاستباحوا
بيضتهم . واشتكوا حرمتهم والله من ورائهم محيط

أجلست أمم بجيلاها ورجلها على الوادعين الساكنين الامنين من جيرانها فكانوا
إلى الفتنة أسرع من اختطاف البازي أو هوى العقاب . فلما صرحت الرقوة عن
الابن الصريح ، واستبان الراجل من الراكب وتميز الأجرب من الصريح ، نكصوا
على أعقابهم قولوا الدر غير معدين

أيقظت المبادئ الولسية أمماوشموا من صباتها ، وفتحوا للرضى باب الشفاء
والموتى باب الحياة ، — وإن يكن المؤلون قد أوردوا معظم الشعوب شوباء ، وجعلوا
انطير المؤمول منها مقابلا — فإن دم الحياة قد دبح في الأجسام ، وتيار الاغلات من

(١) انظر مبادئه ولسن وماهدة فرساي

سلطة المستعمرين قد تنحى في القلوب، وتسرب إلى القلوب، وتقرب ما كان قد تباعد،
وانتلق صبح شعوبية راقية من بلاد كانت أعرق الأمم بالاستورراطية، بل لم يكن
يدين بعبادة البشر — أو الملوك — الاحياء أحد على وجه البسيطة إلا ما كان
في روسية (منبعث النور الآن)

وكان من تلك الأمم والشعوب من تحفز لوثبة، وأعد للاستقلال المنة الأمة
العربية بأسرها وخصوصا أهل الشام والعراق وشبه الجزيرة منها
كونت هذه الأمة الأحزاب وألفت الجماعات ووضعت الأنظمة والقوانين لإدارة
حركتها، إيد القيام، ثم انتهاء، ثم توطيد، ثم ضنها وإتمام علومها وثروتها، وأول مظهر من مظاهرها
قيام ملك الحجاز على أسباده وأبناء دينه (الترك) دفاعا عن أبناء وطنه وجلدته
قام بالثورة وشد عضده فيها بوه ومن ورائهم الأمة العربية في مهاجرها وأوطانها،
وانسل من بقي من شبان العرب في الجيش التركي فانصموا إلى هذه الحركة طمعا
بتأسيس مملكة عربية تضم جناحي الجزيرة إلى قلبها

قام الثوريون قومهم وساعدوا الاحلاف حاضرم وبادهم على كسر شكة
الترك وخضد شوكه الاتحاديين، هم فانجلى الترك عن العراق والشام والحجاز بعد
ان قتلوا النافذين من شبان العرب، وألبسوا أهل القطرين (الشام والعراق) لباس
الجورم والخوف، وساموم أنواع التعذيب والتلف

فرح أهل البلاد العربية بتقلص ظل الترك عن ربوعهم وخصوصا النابيين
منهم — اللهم غير الحكماء والعقلاء — بناء على موعدة وعدها الاحلاف للملك حسين
ابن علي أخذت بها معاهدة إن كانت كبادي، ولسون فان معاهدة (سايكس بيغوا) لها
كماهنة فرسائل لتلك - قدضمت معاهدة الشريف مع الحلفاء استقلال سورية
والعراق على شروط وقيود حفظت [للمحررين] حقوقا قديمة وحقوقا حديثة
، وحددت معاهدة سنة ١٩١٦ مناطق النفوذ لكل من دول الاحلاف فكان من
جراه ذلك التقسيم الذي تعانى سورية وحلها مضطه وتجرع غصصه . تقسيم
غير عقلي ولا شرعي ولا طبعي، تقسيم جعل بأس الأهاليين بينهم شديدا ووضع في
قلوب المحتلين بعضهم لبعض ضغنا جديدا، ومزق أحشاء البلاد كل بمزق، تقسيم

يستحيل معه دوام الراحة وتمكين الاستعداد لرق الثأني والاستقلال ، لترك
ويعرق مهمة الانتداب ويشل يد الاستقلال

« من غالب الطبيعة قلب » بأى وسيلة تقسم بلاد متصلة الحدود مشتركة
المنافع متعددة الأثرة إلى ما يسمى المنطقة الغربية ثم تقسم هذه المنطقة إلى لبنان
والساحل . ومنطقة شرقية ومنطقة جنوبية أو مملكة صهيونية

خاق الله هذه المملكة من الأرض متصلة متداخلة بعضها ببعض وخرقت
لها السياسة ممالك ونسبت إليها أقواما ليسوا في المير ولا في النفي .

أحييت السياسة من ثنائيا الدهر وطيات الزمان إسم الفينيقيين وأحدثت فكرة
الصهيونيين بعد أن بحيث فينتقى من لوح الوحود ، وزلزلت طوارق الحدتاز ملك
اليهود ، وبدأت الأرض غير الأرض

دعت الحاجة إلى إحياء الفوارق الدينية ، ودمت المصائب المذهبية ، بعد أن
أزال ظلم الاتحاديين كوامن الاحقاد وأحدثت الأمة أيما اتحاد .

جرى كل هذا وادعاء الإصلاح لا يزال قائما وقضية الاستقلال معترف بها
ولكن النفوس ملت الوعود بعد أن طالبت بالقيام باليهود . قبل أن يتسم الخرق
على الواقع ، وتزهد الأضى ونرى الديار يلائق .

لذلك عقد المؤتمر السوري في دمشق وأعلن استقلال سورية جمعا^(١) استنادا
على الحقوق الطبيعية والقومية والجغرافية والسياسية . واعتمادا على المبادئ الولسية
واعتراف الاحلاف بهذا الاستقلال

ثم اجتمع مؤتمر عراقي في دمشق فأعلن استقلال العراق وانتخب الأمير
عبد الله نجل الملك حسين ملكا عليه

تناقلت الصحف والبرق خبر هذا الاستقلال ولم يعترف به الحلفاء بعد ، وقد
رأينا أن نثبت هنا مقالة نقلتها إحدى الصحف المصرية عن مجلة (الرفيو) تحت
العنوان الآتي

(١) سببت وثائق الاستقلال السوري العربي في الجزء القادم

(المجلد الحادى والعشرون)

(١٩)

(المنازع ٧)

استقلال البلاد العربية

« كنا أول من نادى بوجوب الاعتراف باستقلال البلاد العربية وقد نشرنا في اليوم التالي لقرار مؤتمر دمشق ما يؤخذ منه صراحة أن من حسن السياسة أن تعترف فرنسا وانكلترا بالأمير فيصل ملكاً على سورية والعراق وفلسطين فعاند البعض وكابر وأنكر علينا هذا القول ولكن الحوادث جاءت الآن مؤيدة لما نرى أيضاً أن الذين يدبرون دقة السياسة في بلاد الحلفاء قد اقتنعوا الآن بوجوب تحقيق رغبة الشعوب العربية

إن المعاهدة التركية التي سيضمها مؤتمر سان ريمو ستعين حدود المملكة التركية وتفصل منها عشرة ملايين من العرب الذين اشتركوا في هذه الحرب مع الحلفاء ضد تركيا فاستحقوا بذلك أن يبالوا الحرية والاستقلال بلا شرط ولا قيد أعني أنه يجب على الحلفاء أن يتساروا عن كل نفوذ أجنبي أو وكالة على هذه البلاد ويبدء الكفية يعود للسلام الدائم إلى هذه البلاد فلا تعود تسمع فيه نغمة السلاح ولدى النظر في تنظيم آسية الصغرى يجب أن لا تنترك الشعوب العربية العوبة في يد المصادفات السياسية

إن تكوين مملكة عربية قوية يضع حداً لكل هذه الاضطرابات ويسبب الامن والسلام إلى هذه الربوع الشاسعة ويضع أيضاً مستقبلها الاقتصادي وفي هذه الحالة تكون فرصة أول من يستفيد من نمو الزراعة وإردباد التجارة والصناعة التي لها فيها مركز ممتاز من قديم لا يجب تضييعه . إننا في الغالب نترك مزاحمتنا الأكثر مباراة ونشاطاً يسبقونا إلى اغتنام الفرص ولكن إذا جرينا على سياسة مخالفة لهذا الرأي فسيبقنا غيرنا . ولا ندهش يوماً إذا وجدنا أنفسنا في عزلة عن الاتحاد الأوروبي كما حدث في المسألة الروسية وغيرها وقد علمتنا التجارب في الماضي أن ننتفع بها على الأقل في هذا الوقت وأن نبع في آسية الصغرى الاحتراس والاقدام بحيث إذا أخرنا قدماً عن البلاد العربية فلا عذر لنا إذا ضاع نفوذنا الاقتصادي

إن انكلترا التي ترقب الحوادث عن بعد تعتمد الآن لتتنازل عن دعواها

في العراق واتنا نتصح لها بأن تسرع في ذلك ولا تنسى أن حلفاءنا من أصحاب التجربة الذين يعرفون كيف يقتسمون الفرص والذين متى رأوا أنه لا يمكنهم العمل بخلاف ذلك ينفذونه طبقا للظروف وهي حكمة سياسية ..

« ومن المرجح أن اعترافا باستقلال سورية سيقابل في شمال افريقية بكل سرور وإبتهاج وسيوطد نفوذنا فيها ولابد أن تبتلع جميع الأمم أشد الإبتهاج اذ ترانا نعامل بالرفق والاعتبار اخوانا الذين يسكنون بين البحر الابيض المتوسط والخليج الفارس »
« ونحن نلاحظ مع الارتياح ان انكلترا تجتهد هذه الخطوة ..

« وهانحن نشعر بتغيير محسوس في لهجة الجرائد الفرنسية من بضعة أيام مما يجعلنا نرحب بهذا التغيير الذي يفتح أعين من بيدم زمام السياسة الخارجية ليرى الحقيقة وهذا ما تبغته الجرائد الفرنسية الكبرى ولكن يجب عليها أن لاتقف في نصف الطريق وأن تستمر المجاهدة متى صار الاعتراف باستقلال سورية يجب علينا المساعدة في تأييده لتحييا حياته مضمونة ..

« إن فرنسا تظهر عظمتها بقناعة حقوق وحرية كل فرد و ذلك ستقال تمام حكمتها وحذقتها ..

« ومن المحقق ان النداء بغير القديمة التي لا تزال نوجهها ضد الملك فيصل مستحفظ لفرنسة محلا غير لائق في الحكومة السورية وقد بين ذلك الجنرال نوري بك الذي أودعه الملك فيصل إلى باريس ليوضح الحكومات الحلفاء مركز سورية والعراق وعلى الخصوص قرار مؤتمر دمشق في حديث له أفضى به آخر هذا الشهر لندوب الصحف الفرنسية وفي الاستطاعة أن نعتمد على شرف الملك فيصل وفوق ذلك فان سورية دائما في حاجة إلى فرنسة فلذلك يجب أن نتأكد أننا ستقابل دائما في سورية كاستقاء يمكن الاصفاء بالاحترام إلى نواصمهم واقتراحاتهم وستحفظ لنا مستقبلنا زاهرا في هذه المملكة التي تسمى بحق شقيقة فرنسة في مدينتها القديمة والتي لا تطلب إلا أن تعيش الآن عيشة راضية تحت ظل ومساعدة الحلفاء وسيجده صنعنا ونجارنا وأسائدتنا في البلاد العربية ميدانا واسعا لظهار نشاطهم ومقدرةهم ومشروعاتهم »
« واذا تقرر الاعتراف باستقلال سورية والعراق فسيحفظ في فلسطين منطقة خاصة

تحت الرقابة البريطانية ومعلوم أن فلسطين تشمل الاماكن المقدسة وعددا عظيما من اليهود مختلطا بأجناس مختلفة تعيش معا في الشرق فيجب اتخاذ ما يكفل حقوق كل واحد في هذه المنطقة واحترام الاماكن المقدسة التي يقدسها العموم ولا يوجد ما يبرهن على عدم كفاءة العرب لأخذهم هذه المسؤولية على عاتقهم لان الشعوب العربية تحترم أكثر من غيرها حقوق وعادات وعقائد الآخرين الذين يستظلون ظلها.

«إن فرصة لا يمكنها أن تمد يدا لتقطع أوصال العربية بل يجب عليها أن تعمل مع حلفائها بما يطابق رغبات الشعوب. مثل هذه الرغبة ستجلى في حل مسألة لبنان ومؤتمر دمشق والملك فيصل يعترفان ولا بد للبنان بالحق في أن يفصل في شأنه ويعرب عن مصيره ولأهل لبنان الحق في تأليف مملكة أو جمهورية وأن يضعوا شرائعهم بحرية تامة وكل رجائنا أن لا يكره اللبنانيون على الانضمام إلى حكومة سورية» انتهى ما نقلناه عن مجلة الريفيو وذكرت نحوه جرائد أوربية أخرى وقد أوضح مؤتمر (سان ريمو) المقصود من الانتداب والحماية وأيد اتفاق الإحلاف على مخلفات الرجل (التوفيق) وصواء كنا استقلالين أم كنا احتلالين فإنه ليؤمنا تأخير البت في مصير بلادنا وإن مررنا أنه كان من أسباب تكون الأمة وتنشئة الحياة الاستقلالية فيها، فإن أمانى ضاعت وآمالا خابت وشررة أخذت في كثير من بلاد وأقوام الأمة السورية، ولم تكن الضائفة الاقتصادية والسياسية بعد التحرير بأخف منها أيام الاستبداد

لأحسن أولو الشأن صنعا لصينت نفوس وحفظت أعراض ولا ستغنى عن مناقشات وحروب كثيرة، بل لو كان المستشارون (غير الرسميين) من الرومانيين وغير ذوى أضعاف لسهل كل عمل يراد دون التفتيل والتشكل وإغراء الاهايين بهضم بعض مما يزرع الاحقاد بين طوائف لامة فتكون وبالا مستقبلا على الحاكم ولحكوم ثم ما بالنا نرى أشد الناس اغتباطا بالتحرير والاصلاح اسرعهم إلى الهجرة في إبانها مع أن بلادهم جعلت تحت سيطرة أمة المدينة التي هي أكثر الناس احسانا اليهم اقرأ قصلا نقلناه في هذا الجزء عن كتاب فلسفة الحرب ثم اقرأ ما نقلناه في هذا المقال عن الريفيو. وراجع ما يقوله الوزراء وأصحاب الاقدار بهذا الصدد وما يتوخا

الاحلاف في مستقبل سورية . وقابل حالة سكان سورية الجنوبية والشرقية والشمالية والغربية واحكم على مستقبل الأمة في عصر الحرية السعيد الذي يقبمه لا محالة تحقيق ناموس تنازع البقاء أو بقاء الأصلح واعلم بأن « كل سلطة منحدره من العلو » وأن « صاحب السلطة لم يعط السلطة عبثاً »

(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء)
صالح مخلص رضا

تقریظ المطبوعات الجديدة *

(الجزء الثاني) منفعاته ١٩٢٠ بالقطع الكبير طبع على ديوان ایلیا أبو ماضی ورق جيد بمطبعة «مرآة الغرب » في نيويورك سنة ١٩١٩ شعر ایلیا أبو ماضی معروف لدى فريق الأدب عامة وقراء المنار خاصة فهو يطرق المواضيع المتنوعة من سياسية واقتصادية وأخلاقية وأدبية وتقصية . وقد جعل ديوانه هدية إلى أحد أفضل أدباء السوريين ، وكتب له جبران خليل جبران الكاتب الاجتماعي الكبير مقدمة في الشعر والشاعر وأنشيد آية في الابداع والوصف فهي إجماع من طبيعة الوجود

ومن قصائده « فلسفة الحياة » أم القرى - أو « ملفرد الجيلة » في الوصف « والشاعر والأمة » في السباسة ونوم الأمة وغفلتها ، وكذلك قصيدة « وداع وشكوى » التي يصف بها سفره إلى (نيويورك) لكنه انتهى على شعبه وبلاده باللائمة في هذه القصيدة وفظهر بمظهر اليأس من عودة مجد الأمة إليها لتقاعسها واستبداد حكومتها فنما قوله :

وطن أردناه على حب العلى فأبى سوى أن يسكن إلى الشقا
كالعبد يخشى بعد ما أفنى العصى يلهو به ساداته أن يعتقا

شعب كما شاء التخاضل والهوى متفرق ويكاد أن يشمزا
لا يرتضى دين الاله موقفا بين القلوب ويرتضيه مفرقا
لم يعتقد بالعالم وهو حقائق لكنه اعتقد التهام والرق

ومنها : وحكومة ما إن ترجز أحقا عن رأسها حتى تولى أحقا
إلى أن يقول : بغداد في خطر ومصر رهينة وعداً تنال يد المطامع جلقا
ومنها في الدولة : ضعفت عزائمها ولما ترعوى عن غيها حتى تزول وتمحقا
ولوشئت أن أختار من شعر ايليا لأثبت من هنا شيئا كثيراً ، وإن شئت
قلت : كان علي أن أثبت معكم قصائد الديوان

ديوان العقاد الجزء الأول من صفحاته ١٢٧ قطع النار طبع بمطبعة «البسفور»
بمصر سنة ١٩٣٤ هـ ويطلب من مكتبة النار
ناظم هذا الديوان محمود أفندي العقاد المشهور بنضله وأدبه ونثره ونظمه وحرارة
ضميره وقد صدر ديوانه هذا بمقدمة في تأثير الآداب في نهوض الأمم ، وفرق فيها
الأدب إلى فرقتين : أدب ذكاء وأدب طباع وعلق الرجاء وناطه بالثاني منهما
لست وقد طال العهد على تقرير ديوان العقاد بمقرض الآن أو مقرضه ولكنني
أشير إليه إشارة وأنتظر صدور الجزء الثاني منه

من قرر قصائده هذا الديوان قصيدة (الحب الأول) التي عارض بها قصيدة
لابن الرومي أبياتها ١٩٣ وموشع «سيف الشياطين» من مقاطعه
(في الحياة) : قالوا الحياة قشور قلنا فأن الصميم
قالوا شقاء قللنا فأن يبغي النعيم
إن الحياة حياة فذارقوا أو أقيموا

و (تنازع الفردوس) يتحاسدون على الحياة في لهم
نعموا على التكفار أن تركوا فم
لو كان ما وعدوا من الجنة في
و (ضيق الأمل) شر ما يلق الفؤ أجل
ولشر منها أمل
ومنها : (الزمن) إن يوما يمر بهيات هياها
نحن نستمتع الزمان فان فا
ياله من زائر يعمل إذا جاها
لا يحسدون البر فيها يؤجر
أجر السماء وأنكروا ما أنكرو
هذي الحياة لمرهم من يكفر
ضيق عن واسع الأمل
ضيق عن فسحة الأجل
ت بغدادى الطريق بعد ذهابه
ت أخذنا بالذليل من جلبابها
هـ ويقدى بالروح عند ذهابه

الازاهير المضمونة . في الدين والحكومة

صفحاته ٢٩٧ بالقطع الوسط طبع سنة ١٣٣٥ هـ في مطبعة هندية بمصر بحرف (نقط ٢٤) مضبوطا بالشكل الكامل على ورق جيد

مؤلف هذا الكتاب هو المعلم أمين ظاهر خير الله الشورى اللبناني ابن صديقنا المأسوف عليه المعلم ظاهر خير الله صليبا وقد صدره بهذين البيتين
هذا الكتاب حوى علما ومعرفة بطاعة الله في جهر وإسرار
من اصطفاه دليلا في مناهجه يحز بدنيا وأخرى خير أوطار
وافتحه برسائل أولاهها بعرض الكتاب على ملك الحجاز . والثانية أمر الملك بتقديم الكتاب إلى نجله الأمير فيصل (ملك سرورية) والثالثة والرابعة والخامسة معاملات ومراجعات بشأن الكتاب . ثم تقرير المجمع العلمي (بقلم الشيخ عبدالقادر المغربي) ثم « مقدمة الكتاب » إلى ملك الحجاز وأتبعه
أول الكتاب ثم « حقائق لا بد منها » وهي : ثم « دعاية الكتاب » ، فالفصل الأول في وجود الله ثم بقية الفصول إلى الرابع والشرين وكلها في فلسفة الوجود والتدين والدين وعلاقة الانسان بالخالق وحكمة خلق الانسان إلى غير ذلك مما ينظم في ذلك مباحث كلامية أو لاهوتية أدبية جعلها دعائم ومقدمات لما يريد بناءه وتثبيت من ضرورة الدين لصالح الدارين ، وهي الشطر الأول من الكتاب . وأما الشطر الثاني وهو المقصود بالذات من الكتاب فيبتدىء بالفصل ٢٥ (الدين أساس العمران) و٢٦ (تدين رأس الحكومة) إلى الفصل ٤٨ ثم القيل وهو فصلان الأول (لا بد للحكومة من دين) والثاني (دين الحكومة العربية الاسلام)

والمطلع على هذا الكتاب يحب بفضل مؤلفه وشدة عنايته به مدفوعا بباعث التدين الحقيقي وحب الوطن وخدمته وبلوغ الجهد في خدمة الأمة العربية ، وقد أفرغ وسعه في جمع المسائل وإيراد الأدلة عليها من عقلية ونقلية . فجزاء الله عن العربية وأهلها خير الجزاء ، هذا واننا نتمنى لمؤلفه هذا الزواج لثم فائده وتجزل عائلته